المقدمـــــة

الحمد لله رب العالمين، خلق الخلق وقد أحصاهم وعدهم عداً، وكلهم آتيه يوم القيامة فردا، وهو سبحانه وتعالى خالق كل شيء المنفرد بالتأليه والعبادة بالتوحيد والشكر، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾(1).

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، قيوم السماوات والأرضين كل شيء قائم به، مقر بوجوده، شاهد بوحدانيته، مسبح بحمده وجلاله، شاهد بعظيم صنعته، قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾(2).

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه من خلقه وخليله، ختم الله برسالته الرسالات، وبنبوته جميع النبوات، قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾(3)، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل بيته الطاهرين وأصحابه الغر الميامين، والعلماء العاملين، وأرض اللهم عن التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

(1) سورة الأنعام: الآية (١٠٢).
(2) سورة الإسراء: الآية (٤٤).
(3) سورة الأحزاب: الآية (٤٠).


Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

أما بعد،،،

فإن اللّه تعالى خلق الخلق أسوياء على الفطرة حنفاء للّه، وبعث فيهم الأنبياء والمرسلين فأخذوا بأيديهم إلى معرفته ودلائل توحيده، وما يرضيه جل علاه غير أن الشياطين جاءتهم فأبعدتهم عما جاء من عنده، وأوقعت الكثيرين منهم في نزغ شياطينهم، يدل عليه ظاهر قوله ﷺ : **(ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم، مما علمني يومي هذا، كل مال نحلته عبدا حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم)**(١) .

غير أن البعض ممن اجتالتهم الشياطين وأبعدتهم عن الفطرة أخذوا يرددون مقولات صاغتها لهم شياطينهم ومنها الاستغناء بالخلق عن الخالق فسلكوا مسالك معتاصة، بعضهم ألهوا الطبيعة، وبعضهم أله المادة، بل أله بعضهم الشر إلى غير ذلك من الوجوه البعيدة عن كل ما شرع اللّه.

ولما كنت أتابع بعض أنشطة الإلحاد العلمي، وقع لي الحديث عن أزلية المادة، وما يتعلق بتأليهها، فاستعنت باللّه تعالى وكان موضوع هذه الدراسة هو: (أزلية المادة لدى التطوريين عرض ومناقشة)، وذلك استلزم خطوات عدة ألمح إليها فيما يلي:

---

(١) الإمام مسلم بن الحجاج ـ صحيح مسلم، تحقيق / محمد فؤاد عبدالباقي، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار ج٤ ص ٢١٩١ حديث رقم (٢٨٦٥) ط دار إحياء التراث العربي، بيروت.

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧ Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

أولاً ـ أسباب اختيار الموضوع:

لما كان السبب هو ما يتوصل به إلى غيره وليس جزءًا من حقيقته، فقد ظهرت لي جملة من الأسباب، أبرزها:

١ـ أن العقيدة الإلهية صافية نقية قائمة على التوحيد والإيمان بما جاء من عند الله تعالى، يمكن لكافة الخلق تفهمها واستيعابها والتعامل بها، يدل عليه قول الرسول ﷺ: (**والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية**)[1]، وواجب المسلم المحافظة عليها بجانب التمسك بها، واستمرار الدفاع عنها، ولما كانت الأفكار التي قال بها التطوريون الإحيائيون تخالف تلك العقيدة الإلهية فقد صار من الضروري مواجهة تلك المعتقدات، وبيان وجوه فسادها.

٢ـ أن عقيدة وجود الله تعالى ثابتة في العقول السليمة والفطر الصحيحة متمددة داخل الوعي الإنساني كله، ولما كان القول بأزلية المادة

(١) الإمام/ أحمد بن حنبل، المسند ، تحقيق/ شعيب الأرناؤوط، عادل مرشد وآخرون، إشراف د/ عبدالله بن عبدالمحس،ن التركي، باب مسند جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنه، ج٢٣ ص٣٤٩، حديث رقم (١٥١٥٦) ط أولى مؤسسة الرسالة بيروت عام ١٤٢١هـ ـ٢٠٠١م. والإمام/ أبوبكر بن أبي شيبة ت (٢٣٥هـ) المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق/ كمال يوسف الحوت ، باب من كره النظر في كتب أهل الكتاب، ج٥ ص٣١٢ حديث رقم (٢٦٤٢١) ط أولى، نشر مكتبة الرشد، الرياض.
والمعنى: على قلوب بيضاء نقية عن الميل إلى الباطل، لا يميلها عن الإقبال على الله تعالى السراء والضراء. الأستاذ/ سعيد حوى (ت:١٤٠٩هـ)، الأساس في السنة وفقهها. العقائد الإسلامية، ج٢ ص٩٨٠، حديث رقم (٩٧٢) دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ط ثانية، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.


Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

ينتهي إلى الإشراك بالله، فقد كان من الضروري بيان تلك الوجوه الفاسدة والتأكيد على الحقيقة الثابتة، وهي حقيقة وجود الله تعالى.

٣- أن القول بأزلية المادة فيه إعلان بالإشراك بالله، وينافي الوحدانية الثابتة لله تعالى ذات وصفات وأفعالاً، وبناءً عليه فإن القول بأزلية المادة تلحقه الوحدانية التي تبطل الكموم بأنواعها[1].

٤- أن الاعتقاد في أزلية المادة يمثل جانبًا من جوانب الإلحاد العلمي، وهذا من شأنه أن يوقع بالكثيرين من الأغرار في حبائله بدليل أن تلك المساحة من الإلحاد تمددت شرقًا وغربًا مع أنها دخان لا يعلو طبقات الماء، وهنا كان من الضروري مواجهة تلك الأفكار الهدامة والسعي المتواصل لتقرير العقيدة الإلهية والدفاع عنها بكل طريقة مشروعة، ومن هنا كان اختيارى لدراسة هذا الموضوع.

٥- أن القول بأزلية المادة فيه مخالفة للبدهيات وأحكام العقل وقوانينه من حيث إن المادة مخلوقة لله تعالى، والقول بأزليتها لا يرفع عنها

(١) الثابت عند جمهرة المتكلمين أنها تنفي كمومًا خمسة وعند المتأخرين تنفي كومًا ستة: الكم بنوعيه المتصل والمنفصل في الذات، والصفات، والأفعال، "وتنفي كموماً نسبة إلى كم، لأن المراد بها مايسأل عنه بكم، والكمية المتصلة في الذات هى تركب الذات من أجزاء، وفي الصفات أن يقوم به تعالى قدرتان أو علمان فأكثر وهكذا، والكمية المنفصلة في الذات أن يوجد ثم إلهان أو أكثر، وفي الصفات أن تكون ثم صفة مثل صفة الإله قائمة بذات أخرى، وفي الأفعال أن يكون ثم من يؤثر شيئاً من دون الله، والمتصل في الأفعال بحيث يقاسمه في الفعل ويفعل كل واحد منهم على حدته".
راجع للشيخ إسماعيل الحامدي، حاشيته على شرح عقيدة أهل التوحيد الكبرى (السنوسية) للإمام/ أبي عبدالله محمد بن يوسف السنوسي الحسني، ص٣٠٤، ط أولى، مطبعة البابي الحلبي بمصر عام ١٣٥٤هـ-١٩٣٦م.


Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

الوصف بالمخلوق، وبالتالي الطعن على البدهيات يستلزم المواجهة حتى تستقيم الأمور وتثبت المفردات في المواضع التي تليق بها ولا تخرج عنها.

٦- أن القول بأزلية المادة ليس وليد عصر بذاته؛ لأن الاحتكام إلى المحسوس والاعتقاد فيه وحده مسألة قديمة حتى ساقها القرآن الكريم على لسان بعض من قوم نبي الله موسى الكليم حيث قالوا: ﴿أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ وتمامها: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾﴾[(١)].

٧- أن اعتقاد التطوريين في أزلية المادة قد سبقهم إليه كثيرون ورد الله عليهم جميعًا بقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾[(٢)].

٨- أن حكايات التطوريين عن وجود حركة داخل المادة أمر مقرر جرت به السنن الإلهية، أما أن تنسب تلك الحركات إلى المادة الصماء في ذاتها وإحلالها محل الله، فهذا مما يدفع العقل الواعي إلى المجابهة خوفًا على العقول السليمة من أن تنالها أفكار غير سليمة فتضلها،

---

(١) سورة النساء: الآية (١٥٣).
(٢) سورة الأنبياء: الآية (٩٨).

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

وهذا من شأنه أن يوقع النفوس في أخطار قد لا يمكن علاج الكثير من جوانبها.

٩- أن القول بأزلية المادة اتجاه فلسفي ظهرت جذوره الأولى في الإغريق الأقدمين حين بحثوا عن المبدأ الأول وتصوروه تارة في الهواء، وأخرى في الماء، وثالثة في التراب، ورابعة في النار، وإنما اختلفت التعبيرات باختلاف الأزمان وتطور العصور وكثرة التفريعات.

لهذه الأسباب وغيرها رأيت من الضروري دراسة هذا الموضوع ومناقشته، وبيان أوجه الفساد في اعتقاد أنه الإله أو البديل عنه أو صفة من صفاته جل شأنه.

ثانيًا ـ منهجي في البحـــث:

لما كان المنهج هو الطريق المعرفي الذي يسلكه الباحث من المقدمات إلى النتائج مرورًا بالموضوعات، فقد ظهرت العديد من المناهج النظرية، والتجريبية، والسلوكية، والمعيارية إلى غير ذلك من التقسيمات، ثم تنوع كل تقسيم منها إلى أنواع. ونظرًا لتعدد الموضوعات، فقد اتفق العلماء على أن يكون لكل علم من العلوم ما يناسبه من المناهج، وقد ذهب المنظرون في علم المناهج المعاصرة إلى أن أقرب المناهج للتوظيف الاستعمالي هو المنهج التكاملي الذي يحتوي بين جنباته جملة من المناهج بحيث تسمح للباحث في الانتقال من منهج بحثي إلى آخر يتناسب مع الجزئية المعروضة للبحث، وطبقًا لهذا فإن المنهج المتكامل أو التكاملي هو الذي سأعتمده لاعتبارات تبدو بين ثنايا البحث وأكثرها شيوعًا


Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

التقريري الذي يكون في العرض والنقدي الذي يكون في الموازنة، ثم الاستنتاجي الذي يمكث في النتائج.

ثالثًا ـ الأهداف والغايـــات:

من المعلوم أن كل مسألة من المسائل تقوم على أسباب، ثم وسائل، ثم أهداف، وأخيرًا الغايات، وسأحاول الإلماح إلى بعض الأهداف والغايات التي قامت عليها تلك الدراسة، وهي على النحو التالي:

١ـ دراسة الأفكار المتطرفة، والغاية هي بيان وقوع نتائج غير مقبولة وعواقب مرذولة بالنسبة لمن يعتنقون تلك الأفكار.

٢ـ تشكيك أصحاب القول بأزلية المادة في كل ما يذكرون، وعليه يعتمدون، أما الغاية فهي تفريق جمعهم، وردهم إلى الصواب، مع الأخذ في الحسبان ضرورة الغافلين حتى ينتبهوا إلى ما يحيط بهم من أفاعيل الشياطين.

٣ـ إبراز الدور الانفلاتي للأفكار التطورية، أما الغاية فهي توجيه إنذار إليهم بضرورة التخلي عن تلك الأفكار، أما الغاية فهي إبعادها تمامًا عن العقائد الدينية المتعلقة بدين رب البرية.

٤ـ إحراز سبق في هذا الميدان من خلاله تتم المحافظة على أصول العقيدة، أما الغاية فهي البعث للأفكار الصحيحة بحيث تكون في مواجهة الأفكار الفاسدة، وإذا كان المشهور أنه لا يفل الحديد إلا الحديد، فلا يرد الفكر الفاسد سوى الفكر الصحيح.

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

رابعًا ـ المشـــكلات البحثية:

إذا كان مفهوم المشكلة هو ما أشكل أمرها على الناظر إليها، فمن المؤكد أن هناك العديد من المشكلات التي تدور في هذا الإطار، أما إذا كان مفهوم المشكلة أنها التي يبحث لها عن حل، فمن المؤكد أن مشكلات هذه الدراسة تدور في إطار مفهوم المشكلة من الناحية الثانية (التي يبحث لها عن حلول)، وأبرز تلك المشكلات ما يلي:

١- أن الأفكار الفلسفية في العصر الحاضر قد تجد لها الكثيرين من المرددين وربما امتلكوا قدرًا من اللسانة(١)، حينئذ تبدو المشكلة شائعة، وربما علا لأهل الضلال صوت لا يدعمه رأي صحيح وهنا تكمن المشكلة.

٢- أن صياغة تلك الأفكار في العصر الحاضر تمت على قدر من الدهاء، فلم تشر إلى وجود الله، وإنما ركزت على جانب العلم الذي قد يكون له مردود إيجابي من حيث الظاهر، ولابد من كشفه حتى تظهر آثاره المدمرة وهنا تكمن مشكلة.

---

(١) اللسانة هي القدرة على استخدام آلة اللسان بحيث يقنع الواحد منهم غيره بما يريد، وقد نبه الحديث الشريف إلى هذه اللسانة في قوله ﷺ : (إنما أنا بشر، وإنه يأتيني الخصم، فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض، فأحسب أنه صادق فأقضي له بذلك، فمن قضيت له بحق مسلم، فإنما هي قطعة من النار فليأخذها أو ليتركها» الإمام البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب من قضى له بحق اخيه فلايأخذه فإن قضاء الحاكم لايحل حرام ولايحرم حلالاً، ج٩ ص٧٢ حديث رقم(٧١٨١) تحقيق/ محمد زهير بن ناصر الناصر، نشر: دار طوق النجاة، ط أولى عام ١٤٢٢هـ.

☎ تـليـفـون / فـاكـس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

٣- أن أصحاب الأفكار التطورية يحاولون دائمًا إخفاء نواياهم الحقيقية وهي الرغبة في هدم الإسلام والانتقام من أهله، ولكنهم لا يعلنون عن ذلك، فتجئ المشكلة معهم على صورة من يضع السم في العسل ليقضي به على الآخرين، فهو فعل ظاهره الرحمة حيث يقدم العسل وباطنه فيه العذاب حيث يهلك العقيدة في نفوس المؤمنين، وهنا تكمن المشكلة.

خامسًا ـ مكونات البحث: ويشتمل على:

المقدمة: والتي نحن بصددها.

الفصل الأول: أزلية المادة بين المفهوم والتنوع.

الفصل الثاني: طبيعة المادة عند التطوريين "عرض ومناقشة".

الفصل الثالث: مظاهر المادة عند التطوريين "عرض ومناقشة".

ثم الخاتمة: وتتضمن:

أولاً : أهم النتائج.

ثانيًا : أهم التوصيات.

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧ Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

الفصل الأول

أزلية المادة بين المفهوم والتنــــوع

تمهيــــد:

دلت آيات الذكر الحكيم، ونصوص سنة النبي الأمين، أن الله تعالى خلق عالمي الغيب والشهادة، وأن هذا الخلق يعبر عن سر من أسرار الله تعالى، وحكمة من حكمه، وهو سبحانه وتعالى عالم الغيب والشهادة الذي لا يعزب عن علمه شيء في الأرض ولا في السماء، قال تعالى: ﴿ **عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ** ﴾[1].

كما دلت النصوص الشرعية على أن عالم الشهادة يعطي المادة جزءًا كبيرًا من موضوعاته، وقد امتن الله سبحانه وتعالى على الإنسان بإدراك هذا الجانب المادي الذي منه خلقت السماوات والأرضون المشار إليها بقوله تعالى: ﴿ **أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ** ﴾[2]. ومحل الشاهد أن الرتق كتلة مادية قابلة للتقسيم، وبالتالي فهي واقعة في الناس موقع المرئي المشاهد على ناحية من النواحي يقول العلامة الفخر الرازي رواية **عن ابن عباس**

(١) سورة الرعد: الآية (٩).
(٢) سورة الأنبياء: الآية (٣٠).

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: " أن المعنى كانتا شيئا واحدا ملتزقتين ففصل اللّه بينهما ورفع السماء إلى حيث هي وأقر الأرض"(١).

ودلت آيات الذكر الحكيم وسنة المصطفى الأمين أيضًا على أن المادة لها طورٌ لا تتعداه، وكل ما يدور فيها إنما هو مقصود للّه جل علاه، وبناءً عليه انتهوا إلى أن المادة في جميع صورها وتحولاتها، إنما هي من خلق اللّه تعالى وصنعه جل شأنه، يدل عليه ظاهر قوله تعالى: ﴿ **وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ** ﴾(٢) "وهو استعراض لبعض مظاهر قدرة اللّه. وحكمته، وتدبيره في **خلقه** فهذه الجبال التي يراها الرائي فيحسبها هامدة جامدة لا حراك بها، هي في الواقع على غير هذا الظاهر الذي يبدو للعين منها.. إنها تتحرك حركة حرة منطلقة، في يسر وفي انتظام، كما يمر السحاب! .. فما تراه العين منها شيء، وما هو واقعها شيء آخر(٣).

وقد امتن اللّه سبحانه وتعالى على بني الإنسان فعرفهم بأصولهم التي أنسلوا منها على أنهم خلفاء آدم في الأرض وأحفاده من ناحية التصور المقبول، يدل عليه ظاهر قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن**

(١) الإمام/ فخرالدين الرازي (ت ٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، ج٢٢ ص١٣٧ ، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ.
(٢) سورة النمل: الآية (٨٨).
(٣) الأستاذ / عبدالكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ) التفسير القرآني للقرآن، ج١٠ ص٢٩٧، ط دار الفكر العربي، القاهرة.

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧


Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

طِينٍ ﴾[1]، ومحل الشاهد أن السلالة الطينية ما هي إلا تركيب مادي لجزئيات تم خلقها لله واختياره إياها جل علاه ليخلق منها آدم، ولتكون ذريته من بعده مخلوقة من ماء مهين يقول الإمام الطبري :" استلّ آدم من طين، وخُلقت ذرّيته من ماء مهين"[(٢)].

ومن هنا صارت صور الأجساد مرئية، وما يدور فيها قائم على ناحية موضوعية يمكن التعامل بها على جانب كبير من المادية.

كذلك امتن الله على بني الإنسان فبين لهم أن المادة لها أصل في وجودهم؛ لأنهم على هذا الأصل سيعيشون، ومن خلال ما خلق الله فيه يتكاثرون، وأعني به التراب، يدل عليه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[3]. وذكرت آيات القرآن الكريم أن غذاء الإنسان في الجانب المادي منه قائم على المادة، يدل عليه قوله تعالى:﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴾[4] أي "إلى مأكله ومشربه"[(٥)].

وما دام أصل الكون المشاهد قام في المادة وأصل الإنسان من الناحية البدنية قام على المادة حتى صارت هي قوام حياته من الناحية الظاهرة، فقد نبهت نصوص الدين إلى أن هذه المادة مخلوقة على كل

---

(١) سورة المؤمنون: الآية (١٢).
(٢) الإمام الطبري (ت٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ج١٩، ص١٤، ط الأولى، نشر مؤسسة الرسالة عام ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
(٣) سورة آل عمران: الآية (٥٩).
(٤) سورة عبس: الآية (٢٤).
(٥) المرجع السابق ج٢٤ ص٢٢٦.



ناحية، وأن خواصها ليست من ذاتها، وإنما هي من فعل الله جل علاه القائل ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾(1).

وكل الأنبياء وجميع المرسلين من قبل رب العالمين ذكروا تلك الحقائق عن المادة، وما يدور فيها من تحولات مرادة من قبل الله تعالى، بل كانت هذه التحولات من مظاهر الاستدلال على وجود الله تعالى، باعتبار أنها لم تكن ثم كانت، وأنها ممكنة وليست واجبة ولا مستحيلة(2).

غير أن البعض ممن أعجبتهم عقولهم وركنوا إلى نزغات شياطينهم، فقد ظنوا أن المادة أزلية، بمعنى أنه لا بداية لها، واعتبروها قديمًا مع أن القديم واحد وهو الله سبحانه وتعالى، ثم جاء من خلفهم فوقعوا في فكرة القول بأن المادة ما دامت أزلية، فإنها لا تكون بحاجة إلى إله فاعل خلقها ويدبر أمرها، مما أدى إلى الخروج على دين الله والتمسك بما لا أصل له من العلم الصحيح، ولا يستند إلى فكر قويم، وقد ترتب عليه القسوة على العقيدة الإلهية في محاولة للتخلص منها داخل القلوب التي استنارت بالأنوار الإلهية، فترتب عليه وجود صراعات داخلية تعبر عن

---

(1) سورة لقمان: الآية (11).

(2) يمكن الوقوف على تلك الجهود في الفكر الإسلامي من خلال تقسيم المتكلمين العالم بعناصره إلى جواهر وأعراض، وجهود مفكري المسلمين من الفلاسفة عندما يقسمون الموجود إلى واجب وممكن. راجع للإمام عضد الدين الإيجي، الموقف الخامس في الإلهيات، وراجع للإمام / سعدالدين التفتازاني، شرح المقاصد، الجزء الثاني، وراجع للبيضاوي، طوالع الأنوار، وللأصبهاني في مطالع الأنظار، وللشيخ زاده، نشر الطوالع إلى غير ذلك من المؤلفات التي عنيت بهذا الجانب.

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

نزعات فردية وتنتهي إلى نتائج تهدم كل ما جاءت إليه الأديان الإلهية، ومن هنا كان من الضروري التعريف بالمادة من حيث المفهوم والدلالة حتى يكون الأمر على حد سواء، وسيجيء الحديث عن هذا الجانب من خلال ما يلي:

أولاً ـ مفهوم الأزلية في اللغة والاصطلاح:

وردت مادة الكلمة (أ ز ل) في لغة العرب على جملة من المعاني، وفي نفس الوقت جاء ورودها في الاصطلاح من خلال استعمالات متعددة، وهذا مما يدفع لدارستها في كل من اللغة والاصطلاح على النحو التالي:

أ) في اللغة:

المتابع لمعاجم العربية يجد أن مادة الكلمة ترددت على معانٍ كثيرة من ناحية الإطلاق، وبات استعمالها من غير تحديد لمعناها يترتب عليه الكثير من الاختلاط المعرفي، ومن ثم بات من الضروري تحديد مفهوم الأزل والأزلية في كل من اللغة والاصطلاح وذلك على النحو التالي:

الأول: الضيق والشدة(١) قالت العرب: "هم في أزل من العيش، إذ كانوا في سنة أو بلوى(٢)، وتقول: أزل المكان الذي تقيم فيه قبيلة كذا يريدون أنه ضاق بهم ولم تجد دوابهم ماترعاه حتى أوشكت على الهلاك، ومن تكون هذه حاله يسمى الآزل وهو المضيق عليه في العيش من الأزل

(١) العلامة/ ابن منظور (ت٧١٧هـ)، لسان العرب، فصل اللام ج١١، ص١٢، ط دار صادر، بيروت، لبنان ١٤١٤هـ.
(٢) العلامة/ أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، باب أزل، ج١ ص٩٦، نشر دار الفكر، ١٣٩٩هـ ـ١٩٧٩م.

 Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

وهو الضيق"[1] وعلاقة هذا المعنى بموضوع البحث أن الأزل يجعل المادة محبوسة فيه لا تخرج عنه إلى غيره، فصار الأزل قيدًا عليها وحاكمًا فيها.

الثاني: الحبس من كافة الأطراف: ذكرت مصادر العربية قولها أزال القوم مالهم يأزلونه، إذا حبسوه عن المرعى من خوف"[2] كما يحبس الرجل دابته بمكان شط (بعيد الغور) و"لأنه قصر حبله"[3] الذي يربط به هذه الدابة فلم تتمكن من الحركة ولولا أن صاحبها تداركها لهلكت إذ كان حبسها شاملاً جميع أطرافها، وعلاقة هذا المعنى بأزلية المادة أن القائل بهذا يعترف بمخلوقية المادة وعجزها عن التصرف إذ لا إرادة لها، ومهما قيل بشأن الأزلية فإن الاتجاه العام ليس يبعد عن ذلك المعنى.

---

(١) العلامة/ أبو بكر بن محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت٣٢١هـ)، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير البعلبكي، مادة ب ح و، ج١ ص٢٨٦ ، ط أولى، نشر دار العلم للملايين، بيروت ، لبنان ١٩٨٧م.

(٢) العلامة/ أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور، باب أزل ، ج٤ ص١٦٢٢، ط الرابعة، دار العلم للملايين، بيروت ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

(٣) العلامة/ أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري (ت١٧٠هـ)، كتاب العين، تحقيق د/ مهدي المخزومي، ود/ إبراهيم السامرائي، باب الزاي والنون، ج٧ ص٣٨٥، نشر دار ومكتبة الهلال. والعلامة/ أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت ٤٥٨هـ)، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، ج٩ ص٧٨، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ -٢٠٠٠م.

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧


Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

الثالث: شدة الزمان: ذكرت مصادر العربية قولها: هؤلاء" أزلوا حتى هزلوا"[1] فلم تعد لهم صورة من صور الاعتماد على النفس، يريدون أن الزمان اشتد عليهم ونال منهم[2] وعلاقة هذا المعنى بأزلية الزمان قائمة في أن من يقع في حبائل هذا المصطلح يعاني الكثير من قسوة الزمان، حيث يأتي المرض وتتقدم الحاجة، وتتلاشى المصلحة.

الرابع: ضيق العيش: من أقوال العرب: هذا أزل لا بر معه ولا رحمة ترتجي من ورائه[3] وعلاقة هذا المعنى بما نحن فيه، تقوم في أن ضيق العيش وشدته قد يدفعان الإنسان العاقل للتبرم بالنعم، وربما ساقتهم إلى جحود أسرارها وجحد وجود خالقها، فيقع صاحبها في الكفران بدل أن كان مقيمًا بفريق الإيمان.

الخامس: القدم: قالت العرب: هذا الأمر صاحبه وجد في الأزل، " فيطلق مجازاً على من طال عمره "[4] يريدون أنه قديم إلى صورة بعيدة من غير نظر إلى كونه قدمًا ذاتيًا أو زمانيًا أو مكانيًا[5] وعلاقة هذا المعنى

(١) العلامة/ الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، باب (أ ز ى)، ج١، ص٢٦، ط أولى ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان عام ١٤١٩هـ-١٩٨٤م.
(٢) العلامة/ ابن منظور، لسان العرب، باب الهمزة، ج١١ ص١٢.
(٣) راجع بطرس البستاني، قطر المحيط، باب الهمزة، ص٢٥.
(٤) الشيخ / عبدالرؤوف المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، فصل الزاي، ج١ ص٤٦، ط أولى، نشر عالم الكتب بالقاهرة عام ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
(٥) الإمام/ علي بن محمد الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) التعريفات، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء، باب القاف، ج١ ص١٧٢، ص١٧٣، ط الأولى، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، عام ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، ولأبي البقاء الكفوى (ت١٠٩٤هـ) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، المحقق: عدنان

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧ Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

بأزلية المادة أن القائلين بها يعتبرونها قديمة بذاتها كأنها الفاعل مع أنها موصوفة بما وقع عليها لا بما صدر عنها.

السادس: ما لا أول له: ذكرت مصادر العربية قولها: الأزل هو ما لا أول له، ويوصف به كل قديم عريق، فيقال هذا أزلي يقصدون أنه ما لا أول له[1] " وهذا الكون موجود منذ الأزل"[2] وعلاقة هذا المعنى بما نحن فيه أن الوصف للمادة بالأزلية فيه معنى القدم الذاتي، ولو كان الأمر كذلك لكان أمر أزليتها من الدلائل على كونها مصنوعة لا صانعة رغم أن غايتهم تدور في كونها مستغنية لا محتاجة.

ولا يخفى أن كلمة أزل تتسع لمعانٍ كثيرة بعضها دالٌ على أشياء حسية، وبعضها وهو الغالب قائم على جانب المعنى، وهذا مما يدفع الباحث لصياغة شيء جديد يطلق عليه تعريف الباحث لكلمة أزل من ناحية اللغة، فما هو ذلك التعريف؟

تعريف الباحث:

الأزل: ما لا أول له، من جهة الماضي من حيث إنه قديم تدور بين جنباته عمليات الحبس الكامل والضيق الذي يعبر عن قسوة الزمان،

درويش، محمد المصري، فصل القاف، ج١، ص٧٢٧، ص٧٢٨، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان.

(١) راجع: المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، حرف الهمزة، ص١٥.

(٢) د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت:١٤٢٤هـ) معجم اللغة العربية المعاصرة، ط الأولى، عالم الكتب، ١٤٢٩هـ ـ٢٠٠٨م.


Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

ويأتي معه ضيق العيش فتكون كلها معبرة عن أزلية المادة دون سواها[1].

وهذا مما يؤكد على أن الأزل مخلوق كالأبد، وأنه لا يستقل بالخلق والإيجاد أبدًا.

ب) في الاصطلاح:

الأزل عُرِّف على الناحية الاصطلاحية بتعريفات عديدة بعضها راجع إلى أحد جوانب اللغة، وبعضها مرده إلى الرصيد الثقافي، وثالث عماده الجانب الميتافزيقي، وبعضها جاء في اصطلاحات العلماء والمفكرين المسلمين، ومن ثم فإني سألتقط بعض التعريفات للأزل بحيث تغطي أغلب تلك الجوانب.

١- **الجانب الميتافزيقي**[2]: ويذهب أصحاب هذا الاتجاه إلى أن الأزل حركة مادية يمارسها الزمان من الآن باتجاه الماضي، ومن ثم فالأزل عندهم لا أول له على أي معنى من المعاني[1].

---

(١) يمكن الوقوف على تلك المعاني مما ورد في المصادر العربية، ولا يخفى أن هذه الطريقة قامت على جانب لغوي أمكنني الوصول إليه وربما أفلح لغيري أن يكتسب غيره وأن يحصل ما يكمله ويتممه، أو يستقل عنه، فالعلم لا يعرف الكلمة الأخيرة وكل باحث يقدم ما أمكنه الوصول إليه، بما يؤكد طبيعة البحث التراكمية.

(٢) تطلق كلمة الميتافزيقا بإطلاقين، أحدهما: ما يتعلق بعالم الغيب باعتبار أنه في جانب منه يقبل التجريب ويعرف بالميتافزيقا النقدية، وعليه الفلاسفة التجريبيون والمثاليون والحسيون ومن كان على شاكلتهم. راجع: الدكتور/ سليمان دنيا، التفكير الفلسفي، ص٢٨٤، ط الرباط ١٩٦٤، ثانيهما: الميتافزيقا التأملية: وهي المتعلقة بذات الله وصفاته ويتمسك بها المسلمون وينكرها غيرهم. راجع: الدكتور/ محمد البهي، التفكير الفلسفي الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ط مكتبة وهبة، وراجع له أيضًا: الجانب الإلهي من التفكير الفلسفي

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
 Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

٢- **الأزل:** هـو امتداد حركـي تتمثل فيـه سنوات لانهائيـة منصـرفة ناحيـة الماضـي، ويخطـئ مـن يـزعم أن الأزل لـه بدايـة حقيقـة أو حكـمًـا[٢]. وهـكذا تدور عبارات أصحاب الجانب الميتـافزيقي حـول أن الأزل هـو ذات العبارات دون اعتبار لشيء آخر وراء ذلك.

٣- **الأزل:** هـو الصـورة المتكاملـة الكامنـة في العلاقـات المتبادلـة بـين الفيزيقا والميتافزيقا[٣]. وبناءً عليه فالأزل حركـة داخل حركـة تنتهـي بهما المسألة إلى اعتبار الزمان على تلك الصورة متعاليًا ومقدسًا.

وإذا كـان الأزل قـد عـرف علـى الجانـب الميتـافزيقي بمـا سـبقت الإشارة إليه، فإنه من ناحية اللغة لم يقدم تعريفًا، وإنمـا ظهـرت لـه تعـاريف متعددة، من أشهرها:

١- نقـل الجرجـاني لـلأزل والأزلـي تعريفًـا علـى ناحيـة اللغـة، فقـال: "الأزل هو: استمرار الوجود في أزمنـة مقـدرة غير متناهيـة في جانـب الماضـي، كما أن الأبد استمرار الوجود في أزمنة مقـدرة غير متناهيـة في جانـب

الإسلامي، حيث انتقد كتاب الدكتور/ زكي نجيب محمود خرافة الميتافزيقا وبين فساد مقدماته واختلال نتائجه.

(١) راجع للدكتور/ حسيب الله آدم أبو اليسر، نظرات في الفلسفة المادية، ص٣٥، ط أم درمان ١٩٧٨م.

(٢) أدوار يبوست، العلاقة بين الفيزيقا والميتافزيقا، ص٨٥، ترجمة: حنان صبحي، ط دار المعرفة، بيروت.

(٣) الدكتور/ جمال حسن غمري، الميتافزيقا من منظور غير ميتافزيقي، ط ثانية، مكتبة الأستاذ ١٩٩٥م.

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

المستقبل"[1]. وبالتالي فتعريف الأزل قد فهم من تعريف الأبد، أو أمكن تعريف الأبد من خلال تحديد مفهوم الأزل وهو ما يعرف في علم المنطق باسم التعريف بالمتضاد وهو باب واسع.

٢- **الأزل:** هو الذي يبقى مع الكائنات المخلوقة منذ البداية، وهو يتساوى مع القديم من ناحية العطاء اللغوي، فإذا قيل هذا أزل فهم منه أنه قديم وليس محدثًا[2]. وإذا كان الأزل في العطاء اللغوي مساويًا للقدم من ناحية المعنى فمدلول ذلك أنهما مترادفان على هذا الجانب، وهي مسألة تحتاج النظر إليها بعين أخرى عند الاستعمال الدلالي بحيث يكون هذا الاستعمال بمثابة الجسر الذي تعبر فوقه المعاني وتتلاحق، فتتقدم من الفوائد ما يحتاج إليه الإنسان العاقل الواعي.

٣- **الأزل:** لفظ لغوي جذره قائم في الفعل الثلاثي دال على الامتداد مع الضيق والشدة، فإذا قيل هذا أزل فهم أنه ممتد مع الوصف المقترن به وهو الضيق والشدة، وقد يتلاقى مع لفظ القديم أو القدم على ناحية من النواحي[3]. ومن ثم فلفظ الأزل يقترب كثيرًا جذره اللغوي من جذر غيره وبخاصة عندما يتعلق الأمر بلفظ القدم، أو لفظ

(١) السيد الشريف الجرجاني، التعريفات، فصل الزاي، ص٢٤، ط مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع ٢٠٠٣م، تحقيق: محمد علي أبو العباس.

(٢) الشيخ علي بن محمد بن صالح الحكمي، مفردات ومصطلحات لغوية، حرف الألف، ص٨٨، تحقيق وتقديم وتعليق الأستاذ/ عادل فوزي، ط بيروت ١٩٨٥م.

(٣) الشيخ/ صالح بن العلي محمد صالح الحنفي، من أسرار اللغة في تراكيبها، ج١، ص٢١، ط أولى، مطبعة الشباب بالقاهرة ١٩١٦م.

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

القديم[١]، وهي مسألة تحسمها ضوابط اللغة، ويمكن القول بأنه تعريف مقبول من هذه الناحية، فإذا أمكن تناول لفظ الأزل على جانب لغوي أمكن القول بوجود ألفاظ مترادفة في دلالتها ومعانيها.

ويذهب الكثيرون من علماء اللغة إلى أن لفظ الأزل يجب أن يستعمل على ناحية الدلالة متجاوزين قاعدة الألفاظ باعتبار أن المراد هو المعنى لا غيره، وهي مسألة تبدو أهميتها عندما يتعلق الأمر بالمفاهيم كالحال الذي نحن فيه[٢].

الثالث ـ الرصيد الثقافي:

لما كانت الثقافة هي تهذيب العقل السليم بالعلوم والمعارف الصحيحة، فقد تنوعت مصادرها وتنوعت كذلك موضوعاتها والغايات

---

(١) ويقال الأزل يعنى به نفى الأولية وضده مالايزال وهو ماله أول " راجع شرح السنوسية الكبرى، تحقيق الدكتور / عبدالفتاح بركة ص ٦٨، وقد يطلق القديم على الأزلى ويعنون به الموجود الذى لاينقضى وجوده أى لايلحقه عدم ويسمونه أيضاً أبدى، ويطلق الأبدى على الدائم ويعنون به الموجود الذى لاينقضى وجوده أى لايلحقه عدم ـ وفى المعجم لفلسفى " أن أزل لغة مالايمكن تقدير بداية له، واصطلاحاً : استمرار الوجود في أزمنة مقدرة غير متناهية في جانب الماضى وهو مالايكون مسبوقاً بعدم ولايحتاج فى قوامه إلى غيره فهو الموجود الذى لاعلة له دائم أبداً ويقابله الأبد، أما أبدى فقد ورد فى الأصل اليونانى فهو وارد عند هيراقليطس عندما يتحدث عن اللوغوس الأبدى، وعند فيثاغورث عن إله أبدى، وعند أنكساغوراس فى قوله العقل له وجود أبدى، وعند أفلاطون عندما يثير مسألة الجوهر الأبدى، وعند أرسطو عندما يتناول مسألة أبدية الحركة أو المحرك الأول ـ راجع للدكتور / مراد وهبه، المعجم الفلسفى، ط الهيئة العامة للكتاب.

(٢) علاقة الألفاظ بالمعاني عند اللغويين يتحمل عبء الحديث عنها علم البلاغة بأجزائه أو علومه الثلاثة، وأعني بها علم البيان، علم المعاني، وعلم البديع؛ لأن لفظ البلاغة ينصرف عند الاستعمال إلى هذه الجوانب.


Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

المرتبطـة بهـا ، ومـن أبـرز تلـك الجوانـب في الفكـر الإسـلامي، مـا ذكـره أصحاب الأذواق والمواجيد[1]، حيث عرفوا الأزل بتعريفات من أبرزها:

١- **الأزل:** هو الذي يفصلك عن غيرك ويحجزه بعيدًا عنك، فإن استقمت كنـت مـع الأزل وإن اعوججـت صـرت مخالفًـا لمـا يسـتوجبه الأزل[2]. والأزل بناءً على هذا يشبه الغطاء الذي يحتوي ما بداخله، فإن استعذ به الملتحف به وأمكـن لـه الاستفادة بـه فقـد وفـى، أمـا إذا استنكره واستكرهه فقد خسر المنافع المترتبة عليه.

٢- **الأزل:** ستر الشهوة عن الجوارح وصرفها إلى القوادح حتى لا تكون مسيطرة على أنوار العقل أو حاجبة إياها؛ لأن الحكمة قاضية عرفت ربي بربي، ولوا ربي ما عرفت ربي[3].

ومن البين أن هذا الاستعمال الذي قال به الصوفية، أو نسب إليهم يجب أن يكـون التعامـل بـه مـن خـلال مصطلح الفلاسـفة أنفسـهم بشـأنه، حتى لا يقع المرء في خطأ استعمال مصطلح خاص في غير محل، والقاعدة

---

(١) يطلـق مصـطلح أصـحاب الأذواق والمواجيـد علـى الصـوفية وأصـحاب الفكـر الإشـراقي، وربمـا امتد إلـى أصـحاب الإشـراق فـي المجتمـع الإسـلامي كـل علـى ناحيـة بـذاتها، أو جانـب أتـي مـن ناحيتـه أو اتجـه إليـه، وربمـا تعـددت التسميات والمصطلحات فأضيف إليهم أصحاب العرفان ولكل وجهة هو موليها والله تعالى أعلم بالنوايا وما تخفيه الضمائر وما يعتصم بالسرائر.

(٢) الشـيخ/ محمـود بـن علـي بـن عطيـة القيروانـي، مصـطلحات صـوفية، ص٤١، المطبعة المليجية بالقاهرة ١٣١٣هـ.

(٣) راجع الشيخ/ منصـور بـن علـي ولـي الـدين العجمـي المـالكي، مـن أسـرار الله فـي الإنسان، ص٨٨، ص٨٩، المطبعة العصرية ١٩٣٥م.

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧


Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

أنه إذا تم استعمال مصطلح خاص فيجب ألا يفصل عن مدلوله الاستعمالي عند الطائفة التي تستعمله.

وحيث عرضت لمفهوم الأزل على النحو الذي سلف، وانتهيت إلى أنه وصفٌ لما يقع عليه لدى الكثيرين وامتداد مخلوق يتحرك في إطار المفهوم الذي أمكن الوصول إليه، فمن المناسب الانتقال للجزء الثاني من هذا المركب وهو لفظ المادة حتى يكون المفهوم محددًا، وتبدو دلالته أكثر وضوحًا.

ثانيًا ـ مفهوم المادة في اللغة والاصطلاح:

وردت مادة الكلمة (مد) ومشتقاتها في القرآن الكريم حوالي (٣٢) مرة[١]، كذلك وردت في كل من اللغة والاصطلاح، وهذا مما يجعل بحثها على تلك الناحية من الواجبات المعرفية. لذا سوف أتناولها في كل من اللغة والاصطلاح على النحو التالي:

أ) في اللغة: ذكرت المصادر العربية لهذه الكلمة العديد من المعاني، أبرزها:

الأول البسط: قالت العرب: "مد النهار ضوئه والظل"[٢] ومنه قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ ﴾[٣] يريدون أنه بسطه حتى استغرق

(١) الأستاذ/ محمد فؤاد عبدالباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، باب الميم، ص٢٦٢، ط دار الكتب المصرية عام ١٣٦٤هـ ـ١٩٤٥م.
(٢) الزمخشرى، أساس البلاغة، كتاب الميم، فصل الميم والدال ومايثالثهما، ج٢، ص١٩٩.
(٣) سورة الفرقان: الآية رقم (٤٥).

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

جميع ساعات اليوم على سبيل المجاز. وعلاقة هذا المعنى بما نحن فيه أن المادة جسم ممتد تعبر عنه خواصه الذاتية فيدخل فيها كل من الصلابة والغازية والسائلة، وكل ما يقع عليه اسم المادة.

الثاني: التقوية: قالت مصادر العربية: "القائد العام مدَّ الجيش"(١) ويسمى المدد ما أمددت به قوماً في الحرب وغيره من الأعوان والطعام"(٢) يريدون أنه قواه وعضده وجعل له امتدادًا يتمثل فيه ولا ينقضي إلا بانقضائه، وعلاقة هذا المعنى بالمادة أن أجزائها متواصلة فيما بينها، ويصح أن يطلق عليها اسم الكم المتصل باعتبار أن الامتداد في السطوح والأجسام يدخل في هذه التسمية.

الثالث: الإطالة: ذكرت المعاجم العربية قولها: " رجل مديد القامة"(٣) أي جسمه طويل"(٤)، "ومد فلان ثوبه حتى صار يلامس الأرض، جعله طويلاً"(٥) يقصدون أنه أطاله بالشكل الذي يزيد عن جسمه وحجمه،

---

(١) العلامة/ أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري (ت١٧٠هـ) ، كتاب العين، تحقيق د/ مهدي المخزومي، ود/ إبراهيم السامرائي، باب الدال والميم، ج٨ ص١٦، نشر دار ومكتبة الهلال.

(٢) الشيخ/ سَلَمة بن مُسْلِم العَوْتبي الصُحاري، الإبانة في اللغة العربية، المحقق: د. عبدالكريم خليفة وآخرين، الناشر: وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، سلطنة عمان، ط الأولى ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

(٣) العلامة/ زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الحنفي الرازي (ت٦٦٦هـ)، مختار الصحاح،المحقق: يوسف الشيخ محمد، ج١، ص٢٩٢، الناشر: المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، ط الخامسة، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

(٤) مرتضى، الزَّبيدي (ت١٢٠٥هـ)، تاج العروس، مجموعة من المحققين، باب مدد، ج٩ ص١٥٦، نشر: دار الهداية.

(٥) المعلم / بطرس البستاني، قطر المحيط، ج٢ ص١٢٦٥، ط بيروت، عام ١٨٦٩م.

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧



Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

وعلاقة هـذا المعنـى بالمادة ظاهـرة في أنهـا منبسـطة فيهـا مـن الطـول والسـعة ومهما قلت على الحقيقة فإنها تقبل الامتداد من ناحية الوصف، وكـذلك الحال مع الإطالة؛ لأن ذلك من خواص المادة، بل هـو ما يرتبط بها، فإنها تمتد إذا وقع لها الامتداد، ولعل هـذا المعنـى مما يمكـن الوصـول إليـه مـن قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴾[1].

يقـول الإمـام/ الطبري في بيـان معنـى الآيـة الكـريمـة: "**وإذا** الأرض بُسِطَتْ، فزيدت في سعتها"[2] والإمـام/ الفخـر الـرازي يعـد السـعة والامتـداد أمر لازم ناشـئ بقصـد مـن حكمـة الحكـيم سـبحانه حتـى تكـون الأرض مهيئـة لوقـوف الخلائـق عليهـا للحسـاب يـوم القيامـة لـذا نـراه يحمـل معنـى الامتداد على وجهين الأول: أنه مأخوذ من مد الشـيء فامتد، فيسوى ظهرها فـالأديم إذا مـد زال كـل انثنـاء فيـه واسـتوى، والثـاني: أنـه مـأخوذ مـن مـده بمعنى أمده أي يزاد في سعتها يوم القيامة لوقـوف الخلائق عليهـا للحسـاب، واعلـم أنـه لا بـد مـن الزيـادة في وجـه الأرض سـواء كـان ذلـك بتمديـدها أو بإمـدادها، لأن خلـق الأولـين والآخـرين لمـا كـانوا واقفـين يـوم القيامـة علـى ظهرها، فلا بد من الزيادة في طولها وعرضها"[3].

---

(١) سورة الانشقاق: الآية (٣).
(٢) الإمـام الطبـري (ت٣١٠هـ)، جـامع البيـان فـي تأويـل القـرآن، تحقيـق: أحمـد محمد شاكر، ج ٢٤ ص٣١٠، ط الأولى، نشر مؤسسة الرسالة عام ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
(٣) الإمـام / فخرالـدين الـرازي (ت٦٠٦هـ)، مفـاتيح الغيـب، التفسـير الكبيـر، ج٣١، ص٩٦، ص٩٧، ط الثالثة، دارإحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ.

الرابع: الإمهال: ذكرت مصادر العربية قولها:، وقد أمد له فيه: أنسأه وهو تأخير الأجل والإمهال"[(١)] كما يقال "أمد الأمير الفقراء أجلًا حتى يحصلوا على مستحقاتهم من رقد الناس وفضول أموالهم، يقصدون أنه أمهلهم إذ لم يكن في بيت مال المسلمين ما يغطي احتياجاتهم[(٢)] وعلاقة هذا المعنى بما نحن فيه أن المادة عند تحولاتها لا تكون طيعة بنفس السرعة حتى وإن كانت سائلة، أو غازية نظرًا لتماسك الجزئيات وارتباطها ببعضها، وكلما كانت أجزاء المادة متضامة، فإنها تكون أقوى نسيجًا واثبت موقعًا.

الخامس: الزيادة: ذكرت المعاجم العربية قولها: " تمدد الْأَدِيم وتمدد الْجِسْم بالحرارة "[(٣)] لذا قيل "هذا الشيء تمدد يقصدون وقوع الزيادة في سطحه، أو حجمه، أو مساحته، أو طوله، وهي الصور التي تدور فيها عملية التمدد"[(٤)] وعليه عرفت المادة بأنها "الزِّيَادَةُ الْمُتَّصِلَةُ"[(١)] وعلاقة هذا

---

(١) مرتضى، الزَّبيدي (ت١٢٠٥هـ)، تاج العروس، مجموعة من المحققين، باب مدد، ج٩ ص١٥٥، نشر: دار الهداية.

(٢) العلامة/ الرازي، مختار الصحاح، المحقق: يوسف الشيخ محمد، باب مدد، ج١ ص٢٩٢، الناشر: المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، ط الخامسة ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، والمعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرين، باب الميم، ج٢ ص٦٥٢، ص٨٩٠، ط مجمع اللغة العربية، نشر دار الدعوة بالقاهرة.

(٣) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرين، باب الميم، ج٢، ص٨٥٨ ط، مجمع اللغة العربية، نشر دار الدعوة بالقاهرة.

(٤) من الملاحظ أن المد هنا يستعمل على اسم المفعول وهو الممدود ويأتي منه المصدر وهو التمدد، وموضوعاته أربعة، أحدها: سطح الجسم، ثانيها: حجم ذات الجسم، ثالثها: مساحة الجسم ذاته، رابعها: زيادة طوله، وهي مسألة تكاد أن تكون بديهية.


Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

المعنى بالمادة أن فيه طلبًا من المادة ذاتها وهي غير عاقلة فيكون هذا السؤال واردًا على غير محل؛ لأن امتدادها ليس من ذاتها، وإنما من فاعل هذا المد وهو الخالق العظيم جل علاه.

ما دامت هذه المعاني متعددة ومتنوعة، فإنها تكون بحاجة إلى تعريف يجمع أجزائها ويلملم أطرافها، ويكون بمثابة القاعدة التي يمكن دورانها فيها، فما هو ذلك التعريف؟

التعريف المختار:

نخلص مما تقدم أن المادة هي: كل جسم يقبل البسط والإطالة بحيث تزيد أجزاؤه ويقع لبعضها مع البعض التقوية، فهى ممتدة وتكون مدداً لغيرها، حتى إذا امتدت بقيت عملية الامتداد مرتبطة بالإمهال من ناحية النوع، وهذا مما تدل عليه المعاني الواردة في المعاجم العربية[٢].

ب) في الاصطلاح:

حيث انتهيت من تقديم تعريف للمادة على ناحية لغوية، فمن المناسب الانتقال إلى التعريف من الناحية الاصطلاحية، وسيكون ذلك على النحو التالي:

---

(١) العلامة/ زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت ٦٦٦هـ)، مختار الصحاح، المحقق: يوسف الشيخ محمد، ج١ ص٢٩٢.

(٢) هذا التعريف قام على الجوانب اللغوية، وبالتالي فيصح أن ينسب إليها من حيث إن أجزائه مركبة من معان لغوية، فمن وفق إلى غيره فليحمد الله عليه؛ لأن ذلك من أقسام الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

١- **المـادة:** كـل جسـم ذي امتـداد ووزن ويشـغل حيـزًا بنـاءً علـى أصـوله وعناصره التي منها يتكون[1]. وهذا التعريف يؤدي بنا إلى نـوعين مـن المادة، أحدهما: المادة الحسية، ومنه مادة الخشب، ومادة الحديد إلى غـير ذلـك مـن المـواد الـتي يحكـم الحـس بوجودهـا، ثانيهمـا: المـادة المعنوية، ومنه مادة البحث العلمي، فإنها ليست محسوسة لكونها من المعاني الذهنية ويدخل فيها كل ما يتعلق بالمعاني دخولًا أوليًا[2].

٢- **المادة:** كل ما يكون مدادًا لغيره بحيث يتصل به ويتواصل معه، فـإن ذلك مما يدخل في مفهوم المادة بغض النظر عن خواصها وما يستتبع امتـداد تلـك الخـواص[3]. والمـادة علـى هـذا المفهـوم تبـدو في الأجسـام المحسوسة كما تبدو في غيرهـا، ومـن ظهورهـا في الأشـياء المحسوسـة كالمادة المتعلقة بالسكك الحديدية، فـإن القضبـان الـتي تسير عليها تلك القاطرات تمتد مع بعضها، فـإن المصـانع حتـى اليوم لم تـتمكن من إنتـاج قضبـان حديديـة تمتـد إلى آلاف الكيلـومترات دون أن توجـد بينها فواصل هي في ذاتها المكملات لهذا الامتـداد[4]. ومـن المعنـوي أو

---

(١) ينظر: د/ جورج فرار، البحث العلمي وعلاقته بالعالم الطبيعي، دراسة في المادة وخواصها، ص١٧، ترجمة: عادل عبدالعظيم يونس، ط ثانية، دار المعارف للنشر، بيروت ١٩٩٥م.

(٢) من أنواع المادة المعنوية مواد اللغة التي تتمثل في ألفاظها وأصولها ومواد العلم وموضوعها مباحثه التي يدور فيها، ومواد القانون من حيث الفقرات المتضمنة في أحكامه، وبناءً عليه تتعدد أنواع المادة بالاعتبارات المختلفة.

(٣) بونتال كالوميزا، المادة وخواص الأجسام الطبيعية، ص٧، ترجمة: تماضر حسن فوزي، مطبعة الأسد، سوريا ١٩٩٧م.

(٤) ومنه أيضًا المداد الذي يوجد في الدواة (الخبر) فإنه يمتد مسافات طويلة، ولا ينقطع بعضه عن بعض اللهم إلا أن يكون هذا الانقطاع لغرض من الأغراض.

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧


Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

غير الحسي ما نقوله في امتداد العواطف النبيلة، فإنها ترد واحدة تلو الأخرى على سبيل الاستدعاء لها، وكذلك ما يتعلق بمسألة تداعي الأفكار أو تحويرها، فإنها جميعها تدور في هذا النطاق.

٣- **المادة:** هي الأصل الذي ينسب إليه المذهب المادي الذي يقوم على التسليم بوجود المادة وحدها، وبها يفسر الكون والمعرفة والسلوك الإنساني[١]. وهذا المفهوم أكثر التصاقًا بالمفاهيم الذهنية حتى وإن استعمل ألفاظًا أو مفردات ذات طبيعة امتدادية.

٤- **المادة:** هي الصورة التي تبدو فيها الأشياء على ناحية حسية، حتى وإن لم تكن شاملة الحسيات على سبيل الحصر[٢].

والبين أن المادة على أي تعريف مما سلف يتمثل فيها بعض مظاهر الكون المشاهد أو على أقل تقدير هي التي توضع في نطاقه.

وقد نسب أقوام أنفسهم للمادة الحسية تارة، وغير الحسية أخرى، ومن مظاهر ذلك وجود المذهب المادي الذي يفسر الكون والمعرفة والسلوك بالمادة وحدها، يقول الدكتور/ فوزي إن المذاهب المادية نظرت للمادة نظرة الإنسان المتدين للإله فجعلوها سامية بصيرة مع يقينهم بأنها صماء خرساء، وللأسف الشديد فإنهم جعلوها أساسًا لتفسير نشأه الكون، ثم أخطأوا

(١) الأستاذ/ محمد صالح العجمي، المادة والتداخلات الغير علمية، ص٨٥، ٨٦، مطبعة مكتب الأقصى ١٩٧٤م.

(٢) راجع: لوليم جرنيوف، المادة والمذاهب التي تدور حولها، ص٧٣، ترجمة: ناهد عبدالعظيم حسن، ط بيروت ١٩٨٨م.هذا وقد تنوعت تعريفات المادة بحسب المتناولين لها في مجالات العلوم المختلفة الفلسفية والأخلاقية والنفسية والاجتماعية .

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

حينما منحوها صفات خالق الكون[1]، وبعضهم اعتبر المادة هي التي من خلالها يمكن تفسير الضوابط العامة في الكون سواء أكانت تلك الضوابط من قبيل النظم الاجتماعية أو تفسير الأحداث التاريخية بالظواهر التي تدور حولها، ومنها الظواهر الاقتصادية، ومن أبرز مظاهر ذلك مذهب المادية التاريخية الذي ارتبط باسم "كارل ماركس"، وصار هذا الاتجاه ذا شهرة في القرن العشرين[2].

غير خاف ان المادة إذا نسب إليها محسوس وصفت به أو قرن بها، أما إذا وصف بها محسوس فإنها هي التي ترتبط به، وكذلك الحال في غير المحسوس، لكن الجديد في المسألة هو خلع صفات الألوهية على المادة، مع أنها مخلوقة وإلباسها ثوب التفكير والتمييز مع أنها جامدة صماء، وذلك مما أدلى إلى العبث بالحقائق الثابتة، والتحول بها من كونها حقائق إلى أخرى لا علاقة لها بالواقع.

ومن مخاطر ذلك وصف المادة بالقدم مع أنها مخلوقة ووصفها بالأزلية مع أن لها بداية والسعي إلى صبغها بالأبدية مع أنها شاهدة كلها على فئاتها في جزئياتها من خلال التحولات التي تكون المادة مفعولاً بها وليست فاعلاً بذاتها.

---

(١) الدكتور/ محمود السيد فوزي، المذاهب المادية في القرن العشرين، ص٩٨، ط ثانية،مكتبة المنتزه، القاهرة ١٩٧٦م.

(٢) راجع للدكتور/ السيد عبدالعظيم الجميل، المادية التاريخية أصولها وتطوراتها وأخطارها، ص٣٧، ط مكتب الأقصى ١٩٨٨م، القاهرة.

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧


Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

ثالثًا ـ المركب منهما (أزلية المادة)[1]:

عرفت أزلية المادة بتعريفات وردت لدى أصحابها بعضها يقبل وبعضها يرد، أما المقبول منها فقائم على أن الأزل إنما هو استمرار الوجود في أزمنة مقدرة حتى وإن لم تكن متناهية في جانب الماضي، ومن تلك التعريفات ما يلي:

١ـ **أزليــة المــادة:** وصف للمادة مقترن بالوجود من غير احتياج لفكرة الزمان، وكلما امتد السعي ناحية الماضي ظهر استمرار وجود المادة، وإليها بعض الإشارات في النصوص الشرعية منها قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ ﴾[2]، والدخان مادة أزلية، لكن له فاعل هو الله ـ سبحانه وتعالى ـ[3]. وهذا التعريف لأزلية المادة لا يترتب عليه القول بأنها خالقة أو مستغنية عن الخالق، وإنما هو تأكيد على أن الأزلي الذي يتصف بالأزلي والأبدي واحد وهو الله سبحانه وتعالى.

---

(١) تعارف أهل العلم على أن المركبات في مجملها تدور حول: ١ـ المركب التوصيفي: وهو الذي يكون بين المبتدأ والخبر الذي تتم به الجملة، كقولهم العلم النافع والطالب المجتهد والطعام اللذيذ، ٢ـ المركب الإضافي: وهو الذي يكون بين الفكرة وغيرها من المعارف، كقولهم: علم النحو، وعلم الفرائض، وعلم الكلام إلى غير ذلك من الوجوه؛ ٣ـ المركب المزجي: وهو الذي يكون من كلمتين حذفت بعض حروفهما، أو بقيت لكن المعنى المراد منهما قبل المزج ليس هو المراد بعد المزج، كقولهم سيبويه وخالويه وبعلبك ونفطويه إلى غير ذلك مما يضاف عليه من تلك الناحية، ويمكن الرجوع إلى هذه المركبات عند شرح ابن عُقيل لألفية ابن مالك، مطبعة الأزهر فقد تناول الكثير من تلك الجوانب.

(٢) سورة فصلت: من الآية (١١).

(٣) راجع للشيخ/ مصطفى شلبي الحنفي، مفاهيم يجب أن تصحح، حرف الهمزة، مطبعة الدار العلمية ١٣١٣هـ.

٢- **أزلية المادة:** هـو الصـورة الـتي وجـدت عليهـا ـ في الأزمنـة المقـدرة قبـل أن تقترن بالزمـان الفلكـي؛ لأن لها سبقًا ـ في الوجود عليـه[١]. وهـذا المفهـوم لأزلية المادة قائم ـ في أنها موجـودة ـ في العلـم الإلهـي، وموجـودة ـ في الواقـع الذي لا نعلمه، ولكنها سابقة علـى الزمـان الفلسـفي، ولعـل هـذا ممـا أغـرى حكمـاء المسـلمين (الفـارابي وابـن سـينا) بأنهـا قديمـة بهـذا الاعتبـار، ولـو أن مـن قـرأ لهـم تجـرد لهمـا مـن التعبئـة العدائيـة عليهمـا لأدرك أنهما استعملا لفظ الزمان علـى معانٍ وجعـلا الزمـان المقـدر هـو الوعاء الذي اجتمع فيه الزمـان الفلكـي، والمـادة بجانـب أنـواع الزمـان الأخـرى، ولم يقـل واحـد منهمـا أن المـادة فاعلـة بـذاتها، أو خالقـة لنفسها، ومن زعم ذلك فهذه مؤلفـات الفيلسـوفين، وليجهـد نفسـه ـ في استخراج ذلك من مؤلفاتهما[٢].

٣- **أزلية المادة:** هو وجودها على ناحية غير مسبوقة بغيرها حتى وإن كـان واقعًا ـ في نطاق الخلق؛ لأنها أقدم المخلوقات، بل هـي سابقة علـى وجـود الأرض والسـماوات وتعتـبر مـادة الرتـق مـن الشـواهد علـى مـا نـذهب إليه[٣].

(١) الشيخ/ محمود بن علي الدين صادق الفاسي، هذا خلق الله، ص٧٣، مطبعة محمد علي ١٩٤١م.

(٢) البعض من المستشرقين ومن يقلدهم يزيف بعض العبارات ويزعم نسبتها إلى هذين الفيلسوفين المسلمين بغية الكيد لهما، والنيل منهما، ومما يؤسف له أن البعض من الأغرار يجارونهم في تلك الأفكار السلبية.

(٣) الأستاذ/ نور الدين بن حكمت الله الأزميري، رد على مكفري الفلاسفة، ص٩١، المطبعة الميمنية ١٣٣٥هـ، وفيه مجاراة لمنهج ابن رشد الذي دافع به عن مفكري المسلمين الفارابي وابن سينا، ويمكن اعتباره من الشواهد على نضج الفكر الإسلامي، ورغبة الحصول على الحقيقة المجردة.

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧


Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

من البين أن هذه التعريفات المقبولة قد تشهد لها ظواهر نصوص نقلية، من ذلك قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾[١]، ومحل الشاهد أن الرتق عبارة عن مادة وقع لها الفتق، وبالتالي فمادة الرتق سابقة على وجود الزمان الفلكي الذي تنازع فيه الفلاسفة والمتكلمون.

كما عرفت بأنها ما يوصف بالقدم النوعي والأزلي النسبي باعتبار أنها لم تكن مسبوقة بالعدم المطلق، وإنما كانت مسبوقة بالعدم الوجودي باعتبارها من الممكنات، والممكن في حقيقته ما يتساوي وجوده وعدمه على ناحية واحدة[٢]. والواضح أن هذا التعريف يؤكد على جوانب ثلاثة أحدها : أن المادة ليست قديمة قدمًا مطلقًا، وإنما هو قدم نسبي، ثانيها: أن المادة مخلوقة وليست خالقة، وبالتالي فأزليتها أزلية صنعة لا أزلية صانع، والفرق بينهما هو ذات الفرق بين الخالق والمخلوق، ثالثها: أن مفهوم الأزلية يتسع بالاعتبارات المختلفة. ومن أبرز هذه الاعتبارات ما وقع في دائرة التقسيم للموجودات، يقول الجرجاني: "اعلم أن الموجود أقسام ثلاثة لا رابع لها، فإنه إما أزلي وأبدي، وهو الله سبحانه وتعالى، أو لا أزلي ولا أبدي، وهو الدنيا، أو أبدي غير أزلي وهو الآخرة، وعكسه محال، فإن ما يثبت قدمه امتنع عدمه[٣].

---

(١) سورة الأنبياء: الآية (٣٠).
(٢) الشيخ/ عدلي محمد حسن رجب الشافعي، العالم بين قدمه وحدوثه، ص١٠٣، ١٠٤، مكتبة عبدالعاطي فرج ١٣٣٥هـ.
(٣) السيد الشريف الجرجاني، التعريفات، فصل الزاي، ص٢٤، تحقيق: محمد علي أبو العباس.

أخلص مما سبق إلى القول: بأن أزلية المادة في الفكر الإسلامي لا تؤدي إلى القول بأنها خالقة، بل تؤكد أنها مخلوقة، وبالتالي فإذا ذهبت الفلسفة إلى أن أزلية المادة ترجع بها إلى مفهوم أنها الخالقة، أو تحل محل الخالق، فإن عقيدتنا الإسلامية الصحيحة لا تقبل هذه النتيجة، فقد تبين وجود صراع بين ما تدلي به عقول هؤلاء، وما تتحدث عنه نصوص الدين، وهذا ما يحتاج المضي قدمًا في هذا البحث واستكمال جوانبه بغية الوصول إلى حلول مشروعة ترضي الله تعالى ورسوله ﷺ، وهو ما سوف يتم قدمًا في هذا البحث.

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

الفصل الثاني

طبيعة المادة عند التطـــــوريين " عرض ومناقشة "

من المعلوم أن طبيعة أي شيء تمثل الحقيقة التي ظهر عليها ، والقوة السارية في الأجسام بها يصل الجسم إلى كماله الطبيعي"[1]. ومن ثم تكون طبيعة الشيء هي البادية في أمر سارٍ بالجسم لا يمكن أن يوجد بدونه، أو أن يستقل بغيره .

ومن المؤكد أن طبيعة المادة هي الطينة أو الأصل الذي وجدت فيه، كما أن المظهر هو الصورة الحركية التي تعبر عن هذا الوجود المادي، ولهذا تبدو الطبيعة والمظهر كأنهما يتكاملان في شيء واحد.

ويذكر الدكتور/ بيتر هدسون[2] "أن المادة هي الأصل والطبيعة هى المعبرة عنها ، أما الصورة أو المظهر فإن هذا الجانب مما يمثل قمة الثالوث، بحيث إذا أعدنا النظر من الناحية البحثية تبين لنا وجود فاعلين أساسيين يحدث بينهما التقارب الجذبي وهما المادة والطبيعة ، وما المظهر

(١) السيد الشريف الجرجاني، التعريفات، باب الطاء، ص١٢٢، ط الحلبي، ١٣٥٧هـ ـ١٩٣٨م.

(٢) هو أحد العلماء التطوريين الباحثين في المجال التجريبي، وقد شغل وظائف عدة في العديد من الجامعات الأوروبية وبخاصة الجامعات الأمريكية، ولد عام ١٩١٥م، ورحل عن الدنيا عام ١٩٩٥م، وله مؤلفات من أبرزها الصدفة، والقدم الذاتي، والحركة الدائمة، إلى غير ذلك من المؤلفات التي تبنى فيها آراء التطوريين ودافع حتى اعتبره الكثيرون من أشد القائلين بها عنفًا المدافعين عنها علمًا. الدكتور/ جورج إسكندر، زعماء التطور في العالم الغربي، ص٨٥، ٨٦، ترجمة: د/ عادل صبري، ط بيروت ١٩٩٨م.

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

إلا معبر عن هذا التقارب"[١] وحيث إن الأمرين قد يتقاربان لدى البعض، فسأحاول فصل كل منهما، والحديث عنه استقلالاً حتى تتضح المسألة وذلك على النحو التالي:

أولاً ـ العـــرض:

يقرر التطوريون أن المادة لها طبيعة ثابتة وخصائص مميزة أبرزها أنها كل ما يوجد على نحو مستقل[٢]، ومعنى هذا أنها لا تحتاج في إيجادها إلى قوة خارج عنها، وإنما هي وحدها الفاعل لذاتها وبذاتها، بل هي الموجود الحقيقي، وهي أصل الموجودات وأولها، فلا أولية لوجودها.

ويعتقد "كولينز" أن طبيعة المادة تقرر أنها الموجود منذ الأزل وهي التي تقوم بكافة الأعمال التي يعتقد المتدينون إرجاعها إلى الله والحقيقة أن المادة هي الله[٣].

ومن المؤكد أن هذه الطبيعة التي للمادة فرضت على الكثيرين عدم البحث في ذات المادة من حيث إنها مفسرة بالبداهة، بل البداهة قاضية باعتناء المادة عن كل تفسير، ويذكر الأستاذ/ عباس العقاد أن علماء المادة يكررون عبارة تقوم على أن كل: "تعبير في الكون إنما هو

(١) بيتر هدسون، أنا والطبيعة والباحث البيوجرافي، ص٧٨، ترجمة: منصور نحلة، مراجعة: د/محمد السيد خضر، ط بيروت عام ١٩٩٣م.
(٢) نيقولا يوسكي، تاريخ الفلسفة الروسية، ص٣٩٦، ترجمة: فؤاد كامل، ط دار المعارف بالقاهرة.
(٣) جيمس كولينز، الله في الفلسفة الحديثة، ص٢١٩، ترجمة: فؤاد كامل، ط دار قباء للطباعة والنشر، ط ثانية ١٩٩٨م.

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

إعلان عن طبيعة تلك المادة التي هي تحت يديك وقدميك وأمام عينيك فما حاجتها إلى التفسير والتعبير"(١).

وإذا كانت طبيعة المادة هي ما سلفت الإشارة إليه، فإن ما يلفت الانتباه هو تأكيد الماديين على اختلاف أنواعهم وفصائلهم واتجاهاتهم هو أن تقدم العلم وخبرة الإنسان العملية تثبت كلها بشكل قاطع "أن المادة توجد كحقيقة موضوعية، وأنها أبدية أزلية لا نهاية لها، والعالم المحيط بنا هو عالم مادي واحد لا يتكرر"(٢).

بل إن طبيعة المادة كما يرى الماديون لا تقبل المنازعة أما لماذا؟ فلأن المادة متحركة والحركة أزلية باقية لا تفني، ونظرًا للارتباط الوثيق بين المادة والحركة، فلابد من الانتهاء إلى تقرير "أن المادة دون الحركة أمر لا يمكن تصوره، ولا يمكن قبول مادة بدون حركة، ولا العكس، فلا وجود لأحدهما دون الآخر، لذا فلابد من الانتهاء إلى حقيقة علمية مفادها أن الحركة أزلية لا تفني والمادة لا تفني في ذاتها، فالشأن أن من طبيعة المادة الحركة(٣).

ويعتقد التطوريون أن المادة هي أصل العالم، ولما كانت المادة قديمة فالعالم بمادته قديم، وبالتالي فإن فرضية وجوده من العدم فرضية

(١) الأستاذ/ عباس محمود العقاد، الشيوعية والإنسانية في شريعة الإسلام، ص١٠٩، ١١٠، ط دار الهلال، القاهرة.
(٢) ف .ج أفانا سيف، أصول الفلسفة الماركسية، ص٤٧، ترجمة: حمدي عبد الجواد، ط دار الثقافة الحديثة بالقاهرة.
(٣) أ.ب شتيولين، الفلسفة الماركسية اللينينية، ص٥٦، ترجمة: لويس إسكاروس، ط دار الثقافة الجديدة، القاهرة.

غير مقبولة، بل هي أمر مستحيل[1]. بل يذهب التطوريون إلى أن البحث عن علة للعالم غير المادة ما هو إلا ضرب من العبث والسخرية، أما لماذا؟ فلأن المادة عندهم تعلو إلى الصورة الراقية والنموذج الواضح على الحقائق والمعيار الذي تقاس به، إذ ليست المادة شيئًا حقيقيًا فحسب، وإنما هي أصل الحقيقة ذاتها، بل إن كل ما هو حقيقي يجب أن يكون متحدثًا عن طبيعة المادة وأن يكون جزءًا منها، ولا مانع من القول باقتصاره عليها[2]. ويذكر التطوريون أن طبيعة المادة التحولات التي تدور فيها فهي جزء منها وليست خارجًا عنها، وبناءً عليه قرروا أن المادة هي العالم، والعالم هو المادة ولا شيء وراء هذا المفهوم، بل هي أزلية أبدية لا تختلف جزئياتها في شيء منها قل أم كثر، تنوع أم لم يتنوع. ويذكر "داروين" أن المادة في أزليتها ما هي إلا تعبير دقيق عن وجودها الطبيعي[3].

ومن طبيعة المادة أنها موجودة في الواقع ولن تنتهي إلى العدم أبدًا وذلك مما يؤكد طبيعتها ووجود تحولات ذاتية بداخلها، وأنها لا تقوم في بدايات عادية كما لا توجد لها نهايات منقطعة تصل بها إلى حد العدم، ولما

---

(١) إدوارد شولتيز، العالم بداية بلا نهاية، ص٩٨، ترجمة: عادل غزي، ط مكتبة المنهل ١٩٧٨م.
(٢) الفيلسوف (جود)، منازع الفكر الحديث، ص٣٧، ترجمة: عباس خماسي، مراجعة: د/ عبدالعزيز اليسام، ط المجمع العلمي العراقي ١٩٥٦م.
(٣) أرازموس داروين، الطبيعة والمادة وجهًا لوجه، ص٦٥، ٦٦، ترجمة: عبدالمنعم وصفي، ط الموصل ١٩٩٨م.


Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

كان الأمر كذلك، فمن المؤكد أن الكون "ليست له بداية ولا نهاية ولا حدود وسيستمر"(١).

ويعتقد الماديون أيضًا أن المادة من طبيعتها إحداث تطورات ذاتية بداخلها من البدائية إلى استمرار الارتقاء الدائم، ثم ينتهون إلى ما يظنونه حقيقة علمية، وهي أنه: "لا شيء غير المادة يمكن أن يقوم بذلك، كما لا يمكن الاعتقاد في وجود قوة أو وجودات أخرى لشيء وراء ذلك"(٢). وما دام الأمر كذلك، فإن المادة بطبيعتها تتحدث عن نفسها، وأنها تملك هذا الحديث، والاعتقاد بوجود عالم غير مادي مهما كان ضئيلاً فإنه اعتقاد يخالف الحقيقة الثابتة.

ويعتقد "ليلي" أن طبيعة المادة ذاتية وحركتها طبيعية، وتحولاتها التي تجري في داخلها، أو من داخلها تمثل الأمور العادية، وأي اعتقاد يخالف ذلك الاعتقاد يمكن وصفه بأنه حركات غير علمية، ومن الصواب القول بضرورة الاستفادة من طبيعة المادة وبخاصة عندما نريد تقديم تفسير علمي لوجود الظواهر والأشياء المختلفة في العالم الذي يحيط بنا ويجب إرجاعها جميعًا إلى شيء واحد فقط هو المادة وخواصها(٣).

---

(١) سيركين وياخوت، أسس المادية الديالكتيكية، والمادية التاريخية، ص٣٩، ترجمة: أ/ محمد الجندي، ط القاهرة ١٩٦٧م.
(٢) روبارت توفارسكي، قياسات الزمن المتطورة، ص١٤٧، ترجمة: هدى العبدالله"، ط الكويت ١٩٧١م.
(٣) ف. كيلي، المادية التاريخية، ص٣٠٥، ترجمة: أحمد داود، ط دار الجماهير، دمشق ١٩٧٠م.


Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

أخلص مما سلف إلى أن طبيعة المادة كامنة في صفاتها وأنها والحركة يتلاقيان على هدف واحد، وأنها باقية لا تفنى موجودة لا تنعدم، تجري تحولاتها بداخلها من غير احتياج لشيء آخر، وهي أصل العالم ولا شيء وراءها يمكن الاعتداد به، أو الاعتماد عليه حسب رؤية التطوريين.

أضف إلى ما سبق أن الماديين يرون طبيعة المادة يمكن تفسير جميع الظواهر والأشياء المختلفة في العالم مهما كانت صورته إلى شيء واحد هو المادة وخواصها، ويعنون بالخواص ما يتعلق بالقدم والأزلية.

يقول (باتست) إن كل ما يتعلق بطبيعة المادة لا يختلف حوله التطوريون ابتداءً من العصور القديمة مرورًا بالعصور العرقية التي كان للإنسان دور فيها، ويقصد بها العصور التي سبقت القرون الوسطى بقليل والتي أعقبتها حتى عصر النهضة، بل إلى يومنا هذا، وكل حديث حول طبيعة المادة يجب توجيهه إليها في صورة من الصور سواء أكانت تتفق مع الظواهر الطبيعية داخل المجتمع الإنساني، أم ملاحظات التاريخ الطبيعي، أو كانت قائمة على احتفاء أي أثر للمادة، إذ القاعدة العامة هي أن الطبيعة هي المادة، والمادة هي الطبيعة، ولا شيء يجعل إحداهما منفصلة عن الأخرى[1]، وبهذا تكون طبيعة المادة قد أضيف إليها هذا الشيء الجديد لا على أنه بعيد عنها، أو مكمل، وإنما هو جزء من تلك الطبيعة التي يتمسك بها الإحيائيون وليست لديهم رغبة في التخلي عنه، أو التخلص منه.

(١) إدوارد باتست، الكائن الحي هو الطبيعة، ولا شيء ورائها، ص٨٨، ٨٩، ترجمة: عادل فوزي، ط المستقبل ٢٠١٤م.

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

ومـن المؤكـد أنـه بعـد عـرض التطـوريين لمـا يتعلـق بطبيعـة المـادة أكون قد أوفيت الحديث عنه من مصادرهم التي يعتمدون عليها وحملت آرائهـم الـتي يـدافعون عنهـا ويتمسـكون بهـا ولا يـرون بـديلاً لهـا، وسـوف أناقش تلك المسائل المتعلقة بطبيعة المادة أو أزليتها أو أبديتها على الجوانب التي سترد إن شاء الله تعالى.

ثانيًا ـ مناقشتها:

مـن المعلـوم أن المناقشـة لموضـوع مـا يـراد بهـا اسـتجلاء الجوانـب، بحيث تتضح الأفكار وتبدو العلاقات التي قامت عليها في صورة علمية، وسيكون هذا على النحو التالي:

الأول ـ الأدلة العقلية:

١ـ فكرة القدم:

من المؤكد أن فكرة القدم على الناحية المعرفية تساق من وجوه عدة باعتبارها تقبل النمو المعرفي، فتشمل القدم وصفًا، والقدم ذاتًا، والقدم هيئة إلى غير ذلك من الوجوه، غير أن فكرة القدم للمادة واعتبارها طبيعة من طبائعها قد لا تجد سندًا علميًا، وإنما تقوم في فهم فلسفي بعيد كل البعد عن الحقائق العلمية، أما لماذا؟ فهذا مما تعرض له العلماء من نقد علمي وهو ما يمثل المناقشة الموضوعية، وأبرز جوانب نقد قدم المادة ما يلي:


Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

أ) **اعتبارها قديمة بذاتها:** من المؤكد أنها لو كانت قديمة قدمًا زمانيًا ما كانت هناك مشكلة على أساس أن القديم بالزمان حادث بحدوث الزمان لا محالة[1].

ب) أن الدلائل العقلية قائمة على حدوث المادة وليس على قدمها ، أما لماذا؟ فلأن الحركة والسكون من مظاهر التغير، والتغير دليل الحدوث، والعالم بكل ما فيه حادث لا محالة ومن ينكر حدوثه يحكم على نفسه بأنه قد أخطأ في عقله.

ومن المؤكد لدى ذوي النظر والاعتبار أن العالم الذي هو كل موجود سوى الله حادث، والدليل على حدوثه تغيره من حال إلى حال، ومن صفة إلى صفة، ومن كان هذا سبيله وصفته كان محدثًا لا محالة[2].

---

(١) كالزمان عند الحكماء وهو: مقدار حركة الفلك الاطلس، وعند المتكلمين: الزمان عبارة عن متجدد معلوم يقدر به متجدد آخر موهوم، كما يقال: آتيك عند طلوع الشمس فإن طلوع الشمس معلوم: ومجيئه موهوم، فإذا قرن ذلك الموهوم بذلك المعلوم زال الإبهام".
راجع: أبو هلال العسكري (ت٣٩٥ه) معجم الفروق اللغوية، المحقق: الشيخ بيت الله بيات، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم» ط أولى، ١٤١٢ه، السيد الشريف الجرجاني، التعريفات، ضبطه وصححه/جماعة من العلماء، ج١ ص١١٤ ط أولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان عام ١٤٠٣هـ ـ١٩٨٣م، فالزمان عند الفلاسفة يقدر بمقدار الحركة بحسب المتقدم والمتأخر فهو عرض، والمتكلمون أيضاً جعلوه عرضاً ناشئاً عن الحركة ولكنه مرتبط بالعقل كوسيلة للإدراك، وبالتالي فالزمان حادث مخلوق، والمادة مثله حادثة مخلوقة.

(٢) الإمام/ أبوبكر بن الطيب الباقلاني، الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولايجوز الجهل به، ص٣٠، تحقيق الشيخ/ محمد زاهد بن الحسن الكوثري، ط ثانية، نشر المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة عام ١٤٢١هـ ـ٢٠٠٠م.

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

وهـذا الـدليل يطلـق عليـه العلمـاء اسـم دليـل الحركـة والسـكون، ومـن المؤكد أن القول بقدم المادة يبطله دليل الحركة من جهة، ودليل السكون من جهة أخرى.

وقـد ذهـب "ابـن باجـة" إلى إثبـات أن المـادة محدثـة وذلـك عنـدما تعرض للمعاني التي تطلق على المادة، أو تستخدم فيها، فذكر أن المادة في إطلاقها على الهيولي والصورة وتسمى المشتركة الكائنة الفاسدة، ومن المؤكد أن تلك المسألة على النحو الذي ساقه تؤدي إلى ضرورة القول بأن المادة حادثة وليست قديمة[1]، ومن ثم فالمادة بقبولها الحركة والسكون تكون حادثة بهذا القبول من حيث إن الحركة حادثة والسكون كذلك.

وابـن باجـة في حديثـه عـن المـادة يؤكـد أنهـا إمـا أن تكـون غـير مصورة بالذات، فالمكون منها جسم بسيط أولي كالأرض والماء والهواء والنار، وكلها حادثة في ذواتها، ومن حيث هي غير مصورة بالذات على أساس قابليتها كجواهر مركبة إلى الوصول للبسائط وهي الجواهر المفردة التي لا تقبل الانقسام لا في الذهن ولا في الوهم[2]. وعلى هذا تكون

وقد نبه إلى هذا عدد كبير من شيوخ المذهب والفلاسفة أيضًا منهم الجويني في كتابه الشامل في أصول الدين ص٢٤٦، ط دار المعارف بالإسكندرية، ١٩٦٩م، والإمام الرازي في كتابه معالم أصول الدين، ص٣٥، ٣٦، تحقيق: طه عبد الرؤوف، ط الكليات الأزهرية بالقاهرة، وأبو المعين النسفي، تبصرة الأدلة ص٦١، تحقيق: كلود سلامة، ط دمشق ١٩٩٠م.

(١) الإمام/ أبوبكر محمد بن باجة ، كتاب النفس، ص٨٠ ، تحقيق الدكتور/ محمد صغير حسن المعصومي، ط المجمع العلمي العربي، دمشق عام ١٣٧٩هـ-١٩٦٠م.

(٢) نفس الفكرة يعرضها ابن رشد حيث يقول: إن الأجسام التي توجد صورها في المادة الأولى وجودًا أولياً لا يمكن أن تتعرى منها المادة، وهي الأجسام البسيطة الأربعة: النار والهواء والماء والأرض، تلخيص كتاب النفس، ص٥.

كلمة الفلاسفة سواء في أن المادة ليست قديمة قدمًا ذاتيًا على نحو من الأنحاء.

أضف إلى ما سبق أن المادة من حيث هي مادة قابلة للصورة نفس قبولها للحركة والسكون، وبناءً عليه ينتهي القول باحتياجها إلى الخالق الحكيم جل علاه لأنها لا تخلق نفسها ولا تخلق أجزائها قابليتها لهذا وذاك حاكمة بحدوثها.

٢ـ شواهد اللغة:

القائلون بقدم المادة وأزليتها يعتمدون على ظواهر اللغة التي ترد فيها ألفاظ القدم على معنى ما لا أول له، أو معنى الغير مسبوق بالعدم، وهذا الإطلاق اللغوي لا مشاحة فيه؛ لأن القدم يطلق بإطلاقات إحداها الذاتي وهو ما يخص الله تعالى الخالق العظيم وهو القدم الحقيقي والقدم الذاتي الذي ليس في زمان ولا يحتاج إلى مكان، بل ولا يحتاج إلى شيء مما هو من صفات المخلوقين[١]، وبالتالي فالمادة ليست قديمة قدمًا ذاتيًا من تلك الناحية، وما دامت غير قديمة على هذا الجانب اللغوي، فقد بان فساد اعتمادهم عليها.

(١) الدكتور/ سليمان خميس، محاضرات في العقيدة، ص٣٧، مطبعة عطايا بالقاهرة ١٩٦٣م.

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

ثانيها: القدم الزماني وهو ما يراد به عدم المسبوقية بالعدم[1]، وهذا القدم الزماني مخلوق يقع في دائرة الزمان الفلكي، وفي حدود أقسامه - الماضي والحاضر والمستقبل - وفيه يتم التناسب (مع الحوادث المرتبطة بالتغيرات التي وجدت فيها)[2]. وعلى هذا القول فإن المادة لا تكون قديمة وإنما تكون حادثة وتسقط فكرة أزليتها، وتسقط فكرة أبديتها من حيث إن الزمان مخلوق والمصاحب له يكون كذلك.

ثالثها: القدم بالغير ويسمى القدم الإضافي، ويعرف بأنه كون ما مضى من زمان وجود الشيء أكثر أوأكثر ما مضى من وجود آخر بالنسبة إلى ما حدث[3]. وهذا العدم بالغير توصف به جميع المخلوقات من حيث إنها مخلوقة لله تعالى، ولا يكون قدمها الإضافي مبررًا لوصفها بأنها قديمة خالقة، أو أنها أزلية أبدية إلى غير ذلك من الوجوه، وبفساد فكرة القدم ونسبتها إلى المادة يتضح فساد القول المترتب عليه، وتسقط حينئذ دعاوى التطوريين ومن معهم وتبقى الحقيقة الأصلية قائمة.

كذلك ذهب الحكماء إلى إسناد وجود العالم مع اعتقادهم قدمه إلى الصانع لاعتقادهم أنه موجب بالذات وليس موجبًا بالغير، وقد نبه إلى ذلك العلامة الأصفهاني (ت٧٤٩هـ) حيث يقول: "القدم ينافي تأثير الفاعل المختار؛ لأن تأثير الفاعل المختار مسبوق بالقصد إلى إيجاد الموجود

---

(١) السيد الشريف الجرجاني، حاشية الجرجاني على مطالع الأنظار على طوالع الأنوار للبيضاوي، ص١٢٨، ط دار سعادة بالقاهرة ١٣٠٥هـ.
(٢) أ.ب سيزمان، فكرة الزمان وتطورها، ص٩٥، ترجمة: مرسي خيري، ط بيروت ١٩٧١م.
(٣) السيد الشريف الجرجاني، حاشية الجرجاني على المطالع، ص١٢٨.

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧


Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

والاختيار"[1]. وهذا لا يتوفر في المادة من حيث إنها ليس فيها قصد، وليس لديها أي اختيار. وبناءً عليه تكون الظواهر اللغوية شاهدة بحدوث المادة، ناطقة بأنها ليست قديمة قدمًا ذاتيًا، كما أنها ليست فاعلة من حيث الحقيقة لعدم وجود القصد والاختيار ومن قال بأنها تفعل بالقصد، أو بالاختيار، أو بالاستقلال، فقد أعظم على الله الفرية وخالف القواعد المتفق عليها بين العلماء.

٣ـ الضرورة العقلية:

وأعني بها ما يقع أمرها بين الانقسام الحصري سواء من ناحية الوجوه، أم من ناحية الأحوال والصفات، فمن خالف أحكامها لم يكن ضمن العقلاء. يقول الدكتور/ النبهاني: "إن أحكام الضرورة العقلية قائمة في الفطرة على أنها من السنن الإلهية كالجمع بين النقيضين فإنه محال عقلاً طبعًا لأحكام الفطرة، والجمع بين كون المادة قديمة وهي مخلوقة والله سبحانه وتعالى القديم وهو الخالق فيه مخالفة لأحكام الضرورة العقلية[2].

أجل لقد نبه الشيخ/ المكلاتي (ت٦٢٦هـ) إلى أن الضرورة العقلية حاصرة في كون العالم قديمًا أو حادثًا ثم انتهى على إقرار مذهب أهل الحق، وهو: "أن العالم محدث مخلوق أحدثه الباري تعالى بقدرته، وكان

---

(١) الشيخ/ أبو الثناء شمس الدين بن محمود بن عبدالرحمن الأصفهاني، مطالع الأنظار على طوالع الأنوار ص١٢٩، ط دار سعادة بالقاهرة ١٣٠٥هـ.
(٢) الدكتور/ فوزي محمد علي النبهاني، العقيدة الإسلامية ومقوماتها، ص٣٨، ٣٩، مطبعة دار الجماهير، دمشق ١٩٩٨م.

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

الله تعالى ولم يكن معه شيء واتفق على ذلك جميع أهل الملل ووافقهم عليه من الفلاسفة أفلاطون وسقراط وأنباذوقليس وفيثاغورث وأنكساغوراس وتاليس[١].

وبهذا تكون الضرورة العقلية قاضية بحدوث العالم ومنه المادة بناءً على أن الموجود إما قديم، وإما حادث، إما واجب الوجود، وإما ممكن الوجود، وكل موجود سوى الله تعالى، فهو جائز بالنظر إلى ذاته، وكل جائز بالنظر على ذاته حادث[٢]. وما دامت المادة من قسم الممكن فلا تكون قديمة بحال من الأحوال، وإلا كان القائل بها مخالفًا أحكام الضرورة العقلية من حيث إن أحكام العقل الصحيح تدور في ثلاثة: الواجب وهو الثابت الذي لا يقبل العدم أصلاً بوجه من الوجوه وهو الله سبحانه وتعالى واجب الوجود صاحب الجلال والجمال والإكرام، ويستحيل أن يكون واجبًا ممكنًا بأي حال من الأحوال[٣]، ومن هنا يكون القول بقدم

(١) الشيخ/ أبو الحجاج يوسف بن محمد المكلاتي، كتاب لباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الأصول، ص٦١، تحقيق: الدكتورة، فوقية حسين محمود، ط أولى ١٩٧٧م، توزيع دار الأنصار بالقاهرة.

(٢) هذه مقدمة حملية ومعها أخرى وهما معًا من الضرب الأول من الشكل الأول الذي نبه الشيخ الأخضري إلى شرطيه في قوله:

فالأول الإيجاب في صغراه   وأن ترى كلية كبراه

الشيخ/ الأخضري، متن المسلم في علم المنطق، فصل في الأشكال، ص١٠، المكتبة التجارية لصاحبها مصطفى محمد، بدون تاريخ.

(٣) الوجوب الذاتي ينافي الإمكان على كافة الصور التي ترد في العقل وتعريف كل منهما يقضي بأنه غير الآخر تبعًا لضوابط الفكر من الذاتية، والغيرية، وعدم التناقض. راجع للدكتور/ محمود السيد شلبي، ضوابط الفكر، ص٨، ط مكتبة المنتزة بالقاهرة ١٩٧٨م.


Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

المـادة وأزليتهـا غـير مقبـول مـن ناحيـة الضـرورة العقليـة وضـوابط الفكـر الأساسية.

وينبه الشيخ/ الكلنبوي (ت١٢٠٥هـ) على أن مـا ذهـب إليـه هـؤلاء من القول بقدم المادة لا يمكن قبوله، بل هو مندفع دفعًا لا يرجى من ورائـه نجـاة، أمـا لمـاذا؟ (فلأنـه لا خـالق إلا اللّه، وأنـه تعـالى صـانع قـديم واجـب الموجـود للعـالم، وهـو وحـده متصـف بصـفات الكمـال منـزه عـن سمـات النقص)[1].

ومـا دام اللّه هـو واجـب الوجـود، وتلـك حقيقـة ثابتـة، فهـو وحـده خالق كل شيء، وغيره مخلوق له، فالمادة ليست قديمة قدمًا ذاتيًا، وإنمـا هي مخلوقة للّه، ولا يشفع للتطوريين ما ذهب إليه بعض اليونان ومن تـابعهم في القول بأن المادة قديمة، أما لماذا؟ فلأن اليونـان إنمـا يتحـدثون عـن فكـر غير قائم على أصول صحيحة بدليل أنهم في بـواكير عملهم بحثـوا عـن علـة وجـود العـالم واعتقـدوا أنهـا أحـد العناصـر الـتي أطلقـوا عليهـا اسـم الاسطقسات الأربعة ويعنون بها المـاء والهواء والتراب والنـار، ثـم بـان فسـاد أقوالهم التي رددوها وجاء من بعدهم ممن هـاجمهم وأنكروا ما ذهبوا إليه، وكأنهم وقعوا في دائرة الذم المشار إليه بقولـه تعـالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾[2].

---

(١) الشيخ/ إسماعيل الكلنبوي، حاشية الكلنبوي على شرح جلال الدين الدواني، ج١، ص٢٤٦، وبالهامش حاشية المرجاني وحاشية الخلخالي، ط دار سعادة ١٣١٦هـ.
(٢) سورة الأعراف: من الآية (٣٨).


Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

٤ـ ارتباط الحركة بالمادة وحدوثهما معًا:

يقرر الإحيائيون أن في المادة حركة ذاتية، ولا يمكن فصلها عنها بحال من الأحوال، وهذا الدليل من الشواهد على أن المادة حادثة وليست قديمة ولا أزلية، أما لماذا؟ فلأن كل جسم يدور بحركة، وإذا كانت الحركة يقابلها السكون، فإن الجسم وفي حالة الحركة يكون متحركًا، وفي حالة السكون يكون ساكنًا، وبناءً عليه فإن الحركة والسكون عارضان على الجسم ووصفان متبدلان عليه، والمعروف أن الحركة حادثة والسكون حادث[١]، فيكون حدوث كل منهما من معالم حدوث المادة، وقد نبه إلى ذلك الكثيرون من العلماء حيث أكدوا أن "كل منهما ـ الحركة والسكون ـ قابل للزوال والتبدل"[٢]، فيعرضان للجسم إلا أن السكون يقع في جانب المادة غير متصورًا؛ لأنه من الأمور المتصلة غير المفارقة[٣]. وإذا كان السكون من طبيعة المادة، فإن الحركة تكون مضادة لتلك الطبيعة فاجتماعهما وتبدلهما معناه أن المادة حادثة بقبولها

---

(١) دليل حدوث الحركة المشاهدة، ودليل السكون المشاهدة أيضًا، ودليل حدوثهما معًا هو قابلية كل منهما لقاعدة التبدل والزوال، وبناءً عليه يكون قبول المادة لما هو حادث إعلان عن كونها حادثة وليست أزلية. الدكتور/ طاهر محمود فوزي، الحركة والسكون في الميزان الفلسفي، ص٧٣، ٧٤، ط دار الفكر بمصر ١٩٧٨م.

(٢) هذه المسألة واقعة في نطاق أن العرضين المتضادين كالحركة والسكون لا يجتمعان في جسم واحد بالمعنى العام، وإلا كان القول به هو ذاته الجمع بين النقيضين ومثله لا يكون مقبولاً لدى العقلاء، وقد نبه إلى فساد هذا الاعتقاد الشيخ/ مصطفى صبري في كتابه موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، ج٣، ص٣٨، ط القاهرة.

(٣) الدكتور/ محمد محمد طاهر، نقد المذهب التجريبي، ص٢٦٥، منشورات مكتبة الهلال، ط ثانية بالقاهرة.

الحركـة الطارئـة عليهـا، وانصـرافها عـن السـكون الـذي هـو جـزء مـن طبيعتها على ما يقول به التطوريون.

بل يذهب الكثيرون من علماء الفيزياء والرياضة إلى أن المادة في قبولها للحركة إنما تعلن عن هذا الاستعداد الذي وهبه الله تعالى لها، بمعنى أن هذا القبول هو دليل أنها مخلوقة وليست خالقة، ويستدلون عليها بالدليل التجريبي. يقول الدكتور/ مصطفى عطوة "إن المادة ليست قديمة بمعنى خالقة، كما أنها ليست أزلية بمعنى أنها لا أول لها، ولا أبدية، بمعنى أنها لا نهاية لها، ويكفي أن الحركة التي تدور بداخلها تأتيها من قوة الله وقدرته لا من المادة التي نعرفها بأنها صماء جامدة، وعالم الفيزياء لا يقر للمادة بالأزلية، ولا الأبدية، وإنما القاعدة العامة أنها مخلوقة وكل جزء فيها مخلوق حتمًا"[١].

بل يذهب الدكتور/ إسكندر إلى أن الحركة التي تدور في المادة لا تقوم على الآلية، وإنما تأتي من قوة بعيدة عن المادة تؤثر فيها وتقبل الذوبان بداخلها، يقيني أن هذه من صنع الله الذي لا خالق سواه، وما يقرره التطوريون بشأن قدم المادة وأزليتها لا يخرج عن تصورات وخيالات ذهنية لا تقوم على مستند علمي"[٢].

---

(١) الدكتور/مصطفى عطوه،الفيزياء في المستوى الميتافزيقي،ص١١٣، ١١، ط المكتب العلمي ١٩٩٥م.
(٢) الدكتور/ إبراهيم محمد إسكندر، الفيزياء والرياضة والفلسفة، أطروحات في الجانب المعرفة، ص١٨٥، ط ثالثة، مكتب المنتزه ١٩٩٨م.

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

ثم إن الفكرة القائمة لدى الفيزيائيين وعلماء الرياضة تتلاقى مع فكرة النسبية التي تؤكد أن الحركة المقترنة بالمادة اقترانًا أوليًا هي التي تدير شأن المادة، وليس العكس، وهذه المسألة يعتبرونها حقيقة يستفاد منها أن المادة حادثة بحدوث تحركا فيها، والحركة حادثة من حيث إن لها ابتداءً ولها أيضًا انتهاء[1]، والمادة على هذا تكون حادثة بحدوث الحركة فيها ابتداءً وانتهاءً، فإذا لم تكن قابلة للحركة، فإن دعوى التطوريين بإثبات قدم المادة وقدم الحركة تكون قائمة على غير دليل.

أضف إلى ما سبق أن المادة والحركة يتخالفان في الذات، ويتلاقيان في الوظيفة وذاته تعالى مخالفة لسائر الذوات؛ لأن ذاته تعالى مخصوصة وغيرها فيه تماثل، وإذا كان هناك من حقيقة مشتركة، فإنها تكون بين المخلوقات لا بين الخالق؛ لأن ذاته تعالى لها امتياز عن غيرها

(١) فكرة ابتداء الحركة تعلن عن الحدوث، وفكرة الانتهاء تعلن عن نهاية الحدث، وبناءً عليه (فكل منهما الابتداء والانتهاء) تؤكد أن المادة حادثة، والحركة حادثة، والقادر على القيام بهذه كلها وغيرها لا يكون جزءًا من المادة ولا من الحركة، وقد نبه إلى فساد القول بأن المادة والحركة قديمان الإمام/ الإيجي وهو يعرض قضية إثبات الصانع حيث ذكر أن الصانع جل علاه لا يكون واحدًا من سلسلة الممكنات أبدًا لما لا يكون من داخلها، حيث يقرر مذهب الحكماء وهو أن موجودًا، فإن كان واجبًا فذاك، وإن كان ممكنًا احتاج إلى مؤثر ولابد من الانتهاء إلى الواجب. الإمام/ الإيجي، المواقف، ص . وقد نبه السيد الشريف الجرجاني إلى هذه المسألة وهو يشرح رأي الإيجي فيذكر مسلك بعض المتأخرين بحيث ينتهي إلى أن جميع الممكنات حتى وإن تسلسلت إلى غير النهاية، فإنها جميعٌ ممكن لاحتياجه إلى أجزائه، والإمكان محوج فكل جزء من أجزاء الممكن دالٌ على أنها جميعًا ممكنة وليست واجبة. السيد الشريف الجرجاني، شرح المواقف، المجلد الرابع، ج٨، ص٧، ومعه حاشيتا السيالكوتي والجلبي، ضبط محمود عمر الدمياطي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط أولى ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.


Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

بأحوال أربعة، هي: الوجوب والحياة والعلم التام والقدرة التامة[1]. وذات الله تعالى مخالفة لغيرها من الذوات فيمتنع أن تكون المادة مرادفة لذات الله تعالى، وهو الذي نتمسك به ونعمل على بقائه واستمراره.

لا يخفى أن ما ذهب إليه التطوريون وحملته مؤلفاتهم مما يتعلق بقدم المادة والحركة بأن فساده في ذات الوقت اثبت البحث العلمي حدوث كل من المادة والحركة واحتياجهما إلى خالق فاعل كريم وهو الذي نبهت إليه النصوص الشرعية ومنه قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾[2].

ومحل الشاهد أن كلمة شيء في الآية دالة على كل ما هو مخلوق وجاء لفظ كل سابقاً على لفظ شيء لاشتمال المعنى من كافة الوجوه، بحيث لا يكون هناك من خالق سوى الله جل علاه، يقول الشيخ القاسمي :"والحال أنه خلق كل شيء انتظمه التكوين والإيجاد من الموجودات"[3] والمادة داخلة في مفهوم كلمة شيء فتكون حادثة وليست قديمة.

---

(١) يطلق أبو علي الجبائي على هذه الأحوال ألفاظ الواجبية بدل الوجوب والحيية بدل الحياة والعالمية والقادرية بدل العلم والقدرة من حيث إنهم ينفون زيادة صفات المعاني الثبوتية السبعة على الذات، ويضعون بدلاً منها القادرية العالمية والجيبيتة وهكذا. الشيخ/ منصور بن علي بن حسن بن سالم النبهاوي، العقيدة الإلهية وأصولها الشرعية، ص٨١، ط فرح الله الكردي ١٣١٧هـ.

(٢) سورة الأنعام: الآية (١٠٢).

(٣) الشيخ/ محمد جمال الدين القاسمي (ت١٣٣٢هـ)، محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود ج٤، ص٤٥١ الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١٨هـ.

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

٥ـ الإيجاد من العـــدم:

ذكر التطوريون أن المادة قديمة، واستدلوا عليه باستحالة الوجود من العدم بحيث تبقى المادة قديمة من البداية مستمرة حتى النهاية تحت زعم أن العدم لا يوجد شيئًا، وهي مقولة قد لا تجد سندًا في الواقع أما لماذا؟ فقد قرر الشيخ الأصبهاني في أن العدم تكون فيه جميع الموجودات الممكنة على سبيل العدم، ويعرف ذلك لدى المتكلمين باسم الوجود في قبضة العدم[١]. ويقرر أن المعدوم ليس بشيء في الخارج، وإنما المعدوم الممكن هو شيء في الخارج على معنى أن له تقررًا منفكًا عن الوجود، وبناءً عليه يكون الخلاف بين العلماء في أن المعدوم الممكن هو شيء في الخارج أم لا، فمن قال إن الوجود عين الماهية لا يمكنه القول بأن المعدوم الممكن شيء في الخارج وإلا لزم اجتماع النقيضين الوجود والعدم[٢]. وعلى هذا يكون القول باستحالة الإيجاد من العدم الذي يقول به التطوريون غير سديد؛ لأن العدم هنا مرتبط بكونه ممكنًا وليس مستحيلاً، أما لماذا؟ فلأن المستحيل هو المعدوم الذي لا يقبل الوجود بحال من الأحوال ومثله

---

(١) الشيخ/ عبدالعظيم بن علي بن صالح بن الحسن السعدي، العقيدة الإلهية ص١٠٨، ط فرج الله الكردي ١٣١٥هـ، والمعلوم أن القبضة في الفكر الإسلامي معناها إمساك الله تعالى الموجودات التي تقررت في علمه الأزلي داخل العدم، فلا تخرج منه إلا بقوله كن. الشيخ/ محمود بن الحسن بن علي بن صالح الحطاب المالكي، العقيدة الإلهية وأدلتها النقلية والعقلية ص٨٧، ٨٨، مطبعة الموصلي ١٣١٧هـ.

(٢) الشيخ/ شمس الدين الأصبهاني، طوالع الأنصار، ص٩٥.

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

شريك الباري جل علاه والجمع بين النقيضين[1]. وبناءً عليه لا تكون هناك استحالة في الوجود من العدم طالما كان ذلك داخلًا في الممكن وليس جزءًا من المستحيل وتبطل دعوى التطوريين.

كما أنه على القول بأن الوجود زائد على الماهية بفرعية، فإنه ينتهي إلى إمكانية إيجاد ما هو معدوم بقدرة الله تعالى، وتبطل دعوى التطوريين باستحالة الوجود من العدم.

أما الفرعان فهما: **أحدهما**: مذهب المتكلمين من الأشاعرة ومعهم أبو الهذيل وأبو الحسين المعتزليان، حيث ذهبوا إلى أنه: هل يصح كون المعدوم الممكن شيئًا ثابتًا في الخارج أم لا؟ وكان جوابهم بالمنع.

ثانيهما: مذهب سائر المعتزلة وهو الذي يقوم على أن المعدوم الممكن شيء متقرر ثابت في الخارج منفكًا عن الوجود[2]. وعلى كلا الرأيين تكون عملية الإيجاد من العدم على أي نحو كان جائزة من حيث إن الأصل فيه هو الإمكان وليس الاستحالة فبطل ما ذهب إليه التطوريون ومن معهم ممن ذهبوا إلى استحالة الوجود من العدم، وليس يترتب عليه كبير خلاف فيما يتعلق بأصل الوجود طالما كان ذلك ممكنًا ولم يكن مستحيلاً.

---

(١) الذي سوغ الحكم بأن ذلك مستحيل هو المفهوم المتفق عليه بين النظار حول المعدوم ولم يقل واحد إن المعدوم موجود في الخارج وإن كان وجوده في علم الله تعالى قائمًا وهي مسألة تحتاج المزيد من المراجعة.

(٢) الشيخ/ الأصفهاني، في طوالع الأنظار، ص٩٥.

٦- إثبات وجود ما ليس ماديًا:

ذهب التطوريون إلى أن كل من ينظر حواليه لا يجد سوى المادة، وبنوا على ذلك قولهم كل ما هو موجود مادي ولا شيء وراء المادة، فالمادة قديمة أزلية أبدية، وكل دعاوى تخالف ذلك يجب ألا يلتفت إليها.

وبمراجعة القواعد العامة التي يصح الاحتكام إليها تبين أن هذه الدعوى ليست وليدة أقوال التطوريين المعاصرين، وإنما هي قديمة منذ آماد بعيدة يتناقلها من لا يؤمنون بالغيب ولا يعترفون بوجود إله قادر خالق حكيم[١].

وقد نبه إلى ذلك ابن سينا عندما ركز على هذه المسألة ووضع أجزائها المطروقة في معلبات يمكن إدراكها في قوله: "إعلم أنه قد يغلب على أوهام الناس أن الموجود هو المحسوس، وأن ما لا يناله الحس بجوهره ففرض وجوده محال وأن ما لا يتخصص بمكان أو وضع بذاته كالجسم أو بسبب ما هو فيه كأحوال الجسم فلا حظ له من الوجود"[٢]. ومن الواضح أن الشيخ لخص شبهاتهم في قوالب معلبة صغيرة يمكن النظر فيها، ثم إثبات بطلانها على ناحية صحيحة، أما لماذا؟ فلأن التطوريين وسلفهم قد ذهبوا إلى إنكار وجود موجود ليس بمحسوس على أية ناحية

---

(١) هذه المسألة (إنكار وجود الغيبيات) قديمة قال بها الطبائعيون الذين ينسبون إلى الطبيعة الخلق والإيجاد وغيرهما ويكررون أنها (العناصر الفاعلة في الوجود والعدم فباجتماعها يكون الوجود وبتفرقها يكون العدم).

(٢) الشيخ/ الرئيس ابن سينا، الإشارات والتنبيهات، القسم الثالث، الإلهيات، ص٧، تحقيق: الدكتور/ سليمان دنيا، ط دار المعارف بالقاهرة، ط ثالثة، سلسلة ذخائر العرب رقم ٢٢ ١٩٨٥م.

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

يكون الحس يستوي في ذلك أن يكون محسوسًا بجوهره أو المكان الذي يحل فيه على سبيل التخصيص أو وضع بذاته كما هو الحال مع الجسم، أو بسبب ما هو فيه من التقسيم والحركة والانتقال والاجتماع والافتراق، فلا حظ له من الموجود تلك هي شبهتهم، بل هو موقفهم الذي يؤكدون عليه(١).

وابن سينا يأتي عليهم وشبههم فيجتثها من جذورها وكأنه يستحضر قوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾(٢)، ثم يؤكد بطلان قولهم باستخراج ما ليس بمحسوس من المحسوس ذاته، ويستخدم لذلك اسم الإنسان من حيث إنه معقول أول أفراده زيدٌ وعمرو وأنه يطلق عليهما بمعنى واحد هو الموجود(٣). وكذلك الحال فيما يتعلق بلفظ المثلث، فإنه ليس مقصورًا على فرد بذاته، وإنما هو معقول، فيقول: "إعلم أنك قد تفهم معنى المثلث، وتشك هل هو موصوف بالوجود في الأعيان، أم ليس بموجود بعد ما تمثل عندك

---

(١) استطاع ابن سينا أن يقدم تلك الجوانب على وجه أحسن مما قصده أصحابها من الطبيعيين والحسيين وأمثالهم حتى إنهم لو حاولوا تجميع تلك الشبهات على ناحية دقيقة كالتي فعلها ابن سينا فلن يكون ذلك متاحًا لهم وهي مسألة دقيقة نبه إليها الكثيرون ممن درسوا ابن سينا ومؤلفاته. راجع: للدكتور/ ماجد فخري، التراث الفلسفي، ص٣٨، ص٣٩، ط ثانية، بيروت ١٩٨٨م.

(٢) سورة إبراهيم: الآية (٢٦).

(٣) الإنسان هو أحد المعقولات الأولى؛ لأن أفراده موجودة في الخارج، وهو من حيث هو واحد الحقيقة، ومن حيث حقيقته الأصلية التي لا تختلف فيه الكثير ليس محسوسًا بل هو معقول صرف. راجع لابن سينا، الإشارات والتنبيهات، القسم الثالث، ص٩.


Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

أنه من خط وسطح[1]، ولم يتمثل لك أنه موجود[2]. وبهذا يثبت ابن سينا وجود معقول تم انتزاعه من محسوس وبذا يبطل دعواهم أن الموجود فقط هو المحسوس؛ لأن المعنى في الإنسان منتزع من أفراده المحسوسة وهو ليس بمحسوس والمعنى في المثلث منتزع من أفراده[3]، وبذلك يكون المعنى لازمًا لما هو مرتبط به.

ثم يستدل على وجود الباري جل علاه مستخدمًا نفس الطريقة فيبطل حصر الموجود في المحسوس، وهو أصل دعواهم، ثم ينتهي إلى أن "واجب الوجود المتعين إن كان تعينه ذلك؛ لأنه واجب الوجود فلا واجب وجود غيره، وإن لم يكن تعينه؛ لذلك بل لأمر آخر فهو معلول"[4]. وبهذا يكون الشيخ/ الرئيس قد اثبت حدوث المادة ونهايتها كما اثبت وجوب وجود الخالق العظيم وأبديته، وأزليته، بل أثبت له كافة صفات الجلال والجمال والكمال والإكرام.

بيد أن الشيخ/ المكلاتي استعمل في مواجهة هذه المسألة لفظ الشيء وتحاور مع هؤلاء، فذكر أن الشيء في اصطلاح الأشعرية من المتكلمين مرادف للفظ الموجود، وأن المعتزلة يطلقونه على المعدوم والجائز

(١) المراد به أنه سطح مستو بين ثلاث خطوط مستقيمة متقاطعة مجموع زواياه يساوي قائمتين.
(٢) ابن سينا، الإشارات والتنبيهات، القسم الثالث، ص١٥.
(٣) أفراد المثلث هي: ١ـ حاد الزاوية، ٢ـ قائم الزاوية، ٣ـ منفرج الزاوية، وهذه الأنواع هي مفرداته في الخارج باعتبار الزاوية، وهناك مفردات باعتبار المادة، فمنه الخشبي، ومنه الزجاجي، ومنه الطيني، والحجري إلى غير ذلك من أنواع المثلث التي هي أفراده الخارجية.
(٤) ابن سينا، الإشارات والتنبيهات، القسم الثالث، ص٣٦.

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

على جهة شيء وذات وليس على جهة موجود، كما ذكر أن الفلاسفة يطلقون لفظ الشيء على كل ما له ماهية ما كيف كان خارج النفس أو كان مقصورًا على أنه جهة كانت منقسمة أو غير منقسمة المهم أن تكون له دلالة مفهومه[1]. ثم ينتهي إلى نتيجة يراها مقبولة عنده وهي أن الموجود غير ما هو ليس موجودًا، فالموجود شيء وغير الموجود ليس بشيء، وبناءً عليه انتهى إلى أن كافة الأشياء المادية ناطقة بأنها مخلوقة، وأن الخالق لها هو الله سبحانه وتعالى واجب الوجود، وبهذا يثبت أن قضية وجود ما ليس بمحسوس ثابتة في العقل والفكر والضمير والوجدان.

من المؤكد أن القول بأزلية المادة وأبديتها على ناحية طبيعتها قد بان فساده من طريق العقل، ويمكن أن يتم بيان فساده أيضًا من طريق العلم القائم على التجربة والأبحاث العلمية.

الثاني- الأدلة العلمية:

المراد بالأدلة العلمية ما يتعلق بالعلوم الفيزيائية والرياضية والكيميائية وعلى الجملة ما ليس بدليل عقلي نظري من حيث إن الدليل العلمي يحتاج البحث على الجوانب المختلفة سواء أكان ذلك متعلقًا بالفلك وقضاياه، أم بالرياضة وقوانينها وعلاقتها، أم كان بهذا كله وسيكون ذلك على النحو التالي:

---

(١) الشيخ/ أبو الحجاج يوسف بن محمد المكلاتي، كتاب لباب العقول، ص١٩.

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

١ـ فكرة الأزلية:

اعتقد الإحيائيون أن المادة أزلية، وفاتهم أنها لو كانت أزلية لوجدت لها ألوان عديدة من المساهمات العلمية، بينما هذا لم يحدث، أما لماذا؟ فلأن الكون له بداية أكدت عليها الأبحاث العلمية حتى وإن كان ميدانها بعيدًا عن التجربة، إلا أنها مقبولة نظرًا لما يرتبط بها.

يذكر "سكوت" أن الأبحاث العلمية في حديثها عن تمدد الكون أكدت أن بدايته أمر لا مفر منه واستدل على ذلك بعملية الرصد للنجوم والمجرات التي تحيط بنا حينئذ تكشف لنا الحقائق الرئيسية من حيث أنها تتباعد عن بعضها البعض بسرعة كبيرة جدًا[١]. والنتيجة التي يمكن الوصول إليها من استقرار أحداث الماضي هي أن النجوم والمجرات لابد أنها كانت متقاربة إلى حد كبير، وسوف نجد تقاربًا أكبر كلما واصلنا استقراء الماضي السحيق[٢]. وبناءً عليه تكون المادة حادثة وليست قديمة، ولا أزلية، ولا أبدية؛ لأنها لو كانت أزلية أو أبدية ما حدث تغيير في طبيعتها، بينما نظرية الانفجار العظيم من أكثر الدلائل على أن المادة حادثة وليست أزلية وحدوثها مقترن بعملية الانفجار ذاتها، وعلى فرض

---

(١) هذا التباعد الذي تحدث عنه العلماء يؤكد أن أجزاء الكون كانت متقاربة إلى حد كبير، وهو المشار إليه بعملية التقابل الرتقي من حيث إنها جميعًا كانت كتلة واحدة قبل عملية الانفجار العظيم الذي يتحدثون عنه، ورغم أنه فرض لا يمكن التثبت من صحته بطريقة عملية إلا أنه قائم في الأفق المعرفي على ذات الفرضية. الدكتور/ محمود شعلان، نظرية الانفجار العظيم ما لها وما عليها، ص٣٣، ص٣٤، ط مكتبة الرشد ١٩٨٨م.

(٢) أندريه سكوت، جواهر الطبيعة، ص٩٩، ترجمة: هاشم أحمد محمد، مراجعة: علي يوسف علي، الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٠م، سلسلة الألف كتاب الثاني رقم ٣٠٨.

صحته يكون حدوثها حقيقة مؤكدة، بل يقينها يكون أكثر من عملية الانفجار ذاتها.

٢ـ الوثائق الفـلكية:

المراد بها تلك القضايا التي انتهى إليها علماء الفلك وشاركهم في نتائجها أصحاب الاتجاه الفيزيائي وتسمى الفيزياء الفلكية، وهي تذهب إلى أن سلسلة الحوادث التي أدت إلى ظهور الإنسان لم تقم على مقدمات، وإنما بدأت فجأة وبعنف في خطة محددة من الزمن[1]. وما دامت الوثائق الفلكية قد أكدت على أن الكون حادث، وأن له بداية وأن العالم مكون من مادة حادثة فقد استقر في اليقين العلمي أن المادة ليست أزلية، ولا أبدية، وإنما هي مخلوقة حادثة شأنها شأن باقي مخلوقات الله سواء تلك التي عرفناها، أم التي لم نعرفها.

ويذكر "جاسترو" أن سلسلة الحوادث التي أدت إلى ظهور الإنسان لا تجعلنا نفترض أن المادة والطاقة كانتا موجودتين قبل الانفجار العظيم، وأن حدث بينهما من تفاعلٌ فجائي؛ لأن القول به يجعلنا نتساءل قائلين ما الذي يميز تلك اللحظة عن غيرها من اللحظات في الأزلية[2]. ومن المؤكد أن عدم التمييز بينها في الأزلية يؤكد الفرض العلمي القائل بأنها خلقت من العدم، وهو الذي نسميه إبداع الإرادة الإلهية للكون من العدم

(١) الدكتور/ جوزيف بيتر، أسطورة المادة الأزلية وكيف أنكرها العلم الحديث، ص١٠٣، ط مكتبة فوزي ١٩٨٥م.
(٢) الدكتور/ جلال عبد الفتاح، الكون ذلك المجهول، ص٥١، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة الألف كتاب الثاني رقم (١٦٢).

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

والسكون إلى ذلك الفرض يقدم هدية علمية وفرضية لا يمكن البحث عن غيرها.

أجل إن الوثائق الفلكية تثبت حدوث العالم عن طريق البداية التي أرادها الله سبحانه وتعالى؛ لأن البديل فيه مناقضة للحقائق الدينية وافتراء على القدرات العقلية، إذ كيف يعقل أن تكون المادة أزلية وهي حادثة، وأن تكون خالقة لنفسها، وهي مخلوقة لغيرها، أليس ذلك مما يدعو إلى العجب ويخرق بدهيات العقول(١). وبهذا يكون الحديث عن أزلية المادة غير مقبول من الناحية الفيزيائية الفلكية على أقل تقدير.

وقد أقر هذه الحقيقة البحث العلمي القائم على استقراء أحداث الماضي والمقارنة بينها وبين الحاضر ويعتقد الكثيرون من الباحثين أن الأمر لو استمر في طريق الاستقراء سوف نجد أنفسنا في النهاية قد وصلنا إلى زمن كانت مادة الكون جميعها متركزة في حجم واحد صغير جدًا في زمن ومكان واحد، هذا الزمان والمكان هو اللحظة التي أسميت بالانفجار العظيم(٢). وبعيداً عن هذه التوجهات فإن القرآن الكريم قد أشار إلى مادة الكون المتمركزة في حجم صغير أطلق عليها اسم الرتق، وهي الواردة في

(١) القول بأزلية المادة معناه أنها الخالقة لذاتها فتكون متقدمة على الذات حتى تخلقها ومتأخرة عنها حتى تكون مخلوقة لها، ولا شك أن هذا التقدم وذاك التأخر يؤديان إلى الوقوع في مخالفة بدهيات العقول ولا يقبل هذا من له أدنى مسكه من عقل.

(٢) أندريه سكوت، جوهر الطبيعة، ص١٠، ترجمة: هاشم أحمد محمد، مراجعة: علي يوسف.

تـليـفـون / فـاكـس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧



Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾(1).

ومحل الشاهد في الآية ما نبه إليه العلامة أبوحيان بقوله : " **كانت السموات وَالْأَرْضُ مُؤْتَلِفَةً طَبَقَةً وَاحِدَةً ففتقها فجعلها سبع سموات، وَكَذَلِكَ الْأَرَضُونَ كَانَتْ مُرْتَتِقَةً طَبَقَةً وَاحِدَةً فَفَتَقَهَا وَجَعَلَهَا سبعا "(2)** وفي هذا دلالة واضحة على قدرة الخالق العظيم سبحانه.

٣ـ القوانين الحرارية:

ومعناها انتقال حراري مستمر من أجسام حارة إلى أخرى باردة، وهذا الانتقال تقوم به قوة ذات قصد وإرادة حتى صار قانونًا علميًا(3).

يذهب العلماء في الميدان المعرفي إلى أن القوانين الديناميكية الحرارية تثبت أن المادة حادثة وليست أزلية وبخاصة القانون الثاني من قوانين الديناميكا الحرارية، على أساس أن الديناميكا هي الحركة ذات الوزن الثابت، والحركة القارة في المكان حيث تحدث تغييرًا دائمًا وحركة مستمرة، يقول "وليم بيركت" إن قوانين الديناميكا الحرارية تطلعنا على وجود انتقال حراري مستمر من الأجسام الحارة إلى الأجسام الباردة، ولا يمكن أن يحدث العكس بقوة ذاتية بحيث تعود الحرارة

(1) سورة الأنبياء: الآية (٣٠).
(2) العلامة/ أبو حيان محمد بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت٧٤٥هـ) تحقيق: صدقي محمد جميل، ج٧، ص٤٢٤، نشر دار الفكر، بيروت، الطبعة ١٤٢٠هـ.
(3) الدكتور/ محمود حسن طلبه، الديناميكا والفيزياء وجهاً لوجه، ص٨٧، ص٨٨، مكتب الأمل ١٩٩٥م.

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

فترتـدهن الأجسـام البـاردة إلى الأجسـام الحـارة[1]، ولا يمكــن أن يحـدث العكس.

ومن المؤكد أن الكون يتجه إلى درجة يتساوى فيها حـرارة جميع الأجسام وسوف ينضب فيها معين الطاقة ويومئذ لن تكون هناك حياة، أما لماذا؟ فلأن كافة العمليات الكيمياوية والطبيعية لـن يكون لها أثـر نظـرًا لانقضـاء دورهـا، بـل لـن يكــون هنــاك أثــر للحيــاة ذاتهــا[2]، بـل يعتقـد الكثيرون أنه في حالة نضب معين الطاقة لن يكون هناك أثـر للحيـاة نظـرًا لقيامهـا علـى العمليـات الكيمياويـة والطبيعيـة طبقًـا لمـا تـدلي بـه قـوانين الديناميكا الحرارية.

ويعتقـد الكـثيرون أنـه إذا تم اسـتهلاك الطاقـة انعـدمت الحيـاة، وبنــاءً عليــه لا يمكــن أن يكــون الكــون أزليًــا وإلا تم اسـتهلاك أرصـدة الطاقة فيه منذ زمن بعيد، ولو حدث استهلاك للطاقة فلن يكون هنـاك أي نشاط، بل لن يكون هناك وجود للكون أصلاً، وما دام الكـون موجـودًا، فإنه لا يكون أزليًا لاستمرار الطاقة فيه[3].

---

(١) هذه المسألة غير واردة فيما يتعلق بالطاقة الحرارية والأخرى الحركية نظرًا لوجود نوع من قبول هذا التردد الذي يترتب عليه افتقاد جانب كبير من إحداهما عندما يراد بها أن تتحول إلى الأخرى من حيث إن كلاً منهما لها خواص ذاتية تسمى خواص ذاتية الحركة. الدكتور/ توفيق محمود صالح، قوانين العلم بين التأثر والتأثير: قراءة وثقافية، ص١١٣، ص١١٤، ترجمة: عادل الصفتي، ط المكتبة العصرية ١٩٩٨م.
(٢) بول ديفز، وجون جربين، أسطورة المادة، ص٩٩، ترجمة: علي يوسف، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٨م.
(٣) روبرت م أغروس - وجورج - ن ستانسير، العلم في منظوره الجديد ص٦٢، ط عالم المعرفة، العدد ١٣٤، فبراير ١٩٨٩م.


Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

وبنـاءً عليـه يكـون اسـتمرار العـالم حتـى يومنـا هـذا أحـد المعـالم الدالة على أنه ليس أزليًا ، وإنما له بداية ولن يكون أبديًا لأن له نهاية.

ويـذهب جمـع مـن البـاحثين إلى أن القـانون الثـاني مـن قـوانين الديناميكا الحرارية يثبت أن الكون ما دامت فيه حرارة فلا يمكن أن يكـون أزليًـا ؛ لأننـا علـى فـرض القـول بأزليتـه فـلا يمكـن وجـود الحـرارة واستمرارها نظرًا لأن الحرارة يستحيل أن توجد من نفسها بعد برودته هـو ، ولو كان الكون أزليًا لكان باردًا[1]. وهكذا تقوم الدلائل كلها على أن المادة ليست أزلية وليست أبدية ، وإنما لها بداية وحتمًا ستكون لها نهاية ، وهـذا ممـا تشـهد بـه كافـة الدراسـات العلميـة وبخاصـة المتعلقـة بقـوانين الديناميكا الحرارية.

ومن هنا يكون ادعاء التطوريين بقدم المادة بات أمراً ليس مقبولاً لرفضـهم لغـة العلـم وقبـول البـراهين، حيـث إن العلـم أثبـت حـدوث المـادة بالدلائل القاطعة التى لايسع الماديين انكارها ، وهو مما تقر به بديهة العقل فالتغير طارئ علي المادة مؤد إلى انتقالها من حال إلى حال من حال العدم إلى حال الوجود ، وماكان هذا شأنه كان بالضرورة حادثا وكل حادث لابد له من محدث وهى أمور تنتهي كلها إلى حقيقة أساسية هـي الاعـتراف الكامل بوجود الله تعالى مع الخضوع لجلاله والإيمان بأنه الواحد الباقي ولا باقي إلا الله تعالى .

(١) الدكتور/ جلال عبد الفتاح، الكون ذلك المجهول ص٥١، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب.

لست أذكر ما يجيء في معتقدي، وإنما أتحاكم إلى القوانين التي يزعم التطوريون نسبتهم إليها ويتصورون أنهم المعبرون عنها.

٤ـ الظواهر الإشعاعية:

ومعناها أن هناك مادة تبث ما يمكن تسميته بالإشعاع على أساس وجود الشمس وجميع النجوم الأخرى التي تدور في فلكها مشتعلة، وتبعث الإشعاعات منها بصفة دائمة[(١)]. ويذهب هؤلاء الباحثون إلى أن ظهور العمليات الإشعاعية قدم فرضية تنتهي إلى ضرورة التخلص من فكرة أزلية المادة، أما لماذا؟ فلأنهم يعتقدون اعتقادًا معرفيًا أنه ما دامت مصادر الإشعاع من الشمس والنجوم وغيرها قائمة فلابد لها من وجود بداية تتمثل فيها النفطة الأولى التي انطلقت منها عملية الإشعاع هذه، ويؤكدون أن المادة لو كانت أزلية لنفذ الوقود الذي تبثه إشعاعًا منذ ظهرت الحياة على وجه الأرض وتلك فرضية تجد لها صدى[(٢)]. وغايتهم من ذلك أن العمليات التي تصدر عنها الإشعاعات محدودة الأثر في ذاتها وفي ذات الوقت غير قابلة للاسترداد؛ لأنها لو قبلته ما صدرت إشعاعات عنها.

---

(١) كثير من الباحثين في العلوم الفيزيائية والكيميائية عندما يتحدثون عن مصادر الإشعاع يضعون الكثير من الفروض والاحتمالات التي لا بد منها، ثم قد يفوضون في بعضها ويعتبرون أن مصادرها التي أمكنهم الوقوف عليها فقط هي التي يستطيعون الحديث عنها، أما ما وراء ذلك فيعتقدون أنه من الجوانب التي لا يمكن تفسير أسبابها. الدكتور/ محمود حسن، العلم والكلمة الأخيرة ص٧٨، مكتبة الأندلس ١٩٨٨، ط ثالثة.

(٢) الدكتور/ عبدالعظيم حسن النقلة، العلم الحديث بين حجري الرحى ص٩٩، ط ثالثة ١٩٩٨م.

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧


Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

ثـم يقـدمون علـى ذلـك فرضـية الإشـعاع الصـادر عـن النجـوم ويؤكـدون أنهـا لـن تضئ إلى الأبـد ومآلهـا إلى اسـتنفاذ الوقـود ثـم الانهيـار، ويعتقدون أيضًا أنه لا يمكـن وجـود عمليـات انعكاسـية مسـتمرة مـن الأزل إلى الأبد، ولا بد من توقف تلك العملية إلى حد النهاية[1].

ومـا دام الأمـر كـذلك فـإن الظـواهر الإشـعاعية تعلـن بوضـوح عـن أمرين، أحدهما: أن المادة لهـا بدايـة وفي ذات الوقـت لهـا نهايـة، تلـك ناحيـة، الثانية، أنها ليست أزلية ولا أبدية ودعوى أنها قائمة بـذاتها تعبر عـن أخطـاء معرفيـة وأخـرى عقديـة وتثبـت في ذات الوقـت أن تـبني مثـل هـذه الآراء غـير مقبول من الناحية العلمية.

ويذهب الدكتور "وينجلي" إلى أن كمية الإشعاع في الكـون آخذة في التناقص ويستدل بها على أن الكـون لـه بدايـة ولـه أيضًا نهايـة، فيقـول: كـان المعتقد السـائد قديمًا هو أن المادة لا تفنى ولا تستحدث من العدم، ثـم بـان أن ذرة الريـدوم والهليـوم الطاقـة فيهمـا إشـعاعية تفنـى بنسـب كلمـا كانت منبعثة من أصل واحد، أما إذا حـاول البـاحثون أن تعكـس مسيرتها ازدادت مساحة نفاذ المخزون وإنـي لأعتقـد أن المـادة ليسـت أزليـة كمـا أنهـا ليست خالدة، وهو الرأي العلمي الذي استند إليـه وأتعامـل بـه[2]. وبنـاءً عليـه تكون الظواهر الإشعاعية بمثابة الأدلة على أن المادة طبيعتها غير أزليـة ولا

(١) بـول ديفـز وآخـر، صـورة المـادة فـي الفيزيـاء الحديثـة ص١٠٨، ترجمـة: عـادل فوزي، مراجعة: خيري حسن، ط ١٩٩٨م.
(٢) الدكتور/ آرثـر وينجلـي، الكون يتحدث عن نفسه ص١٠٣، ص١٠٤، ترجمـة: عادل فوزي، مراجعة: حسن خضر، المكتبة العصرية ١٩٩٨م.

تـليـفـون / فـاكـس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

أبدية وبالتالي فهي ليست خالقة، وإنما مخلوقة ترتد إلى القاعدة العامة الموجودة في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾[1].

أخلص مما سلف إلى أن ما يعتمد عليه التطوريون من القول بأزلية المادة واعتبار ذلك طبيعة ثابتة فيها من غير احتياج إلى إله خالق حكيم، إنما هو ضرب من الخيال لا يقوم على أصول علمية، ولا يستند على حقائق أساسية، ومثله يجب عدم الالتفات إليه، أما لماذا؟ فلأن الدلائل التي اعتمدوا عليها غير مقبولة وتبقى الحقيقة الأساسية معلنة عن نفسها مرددة على جميع جنباتها قل الله هو خالق كل شيء وهو الواحد القهار.

وحيث عرضت ما يتعلق بطبيعتها على النحو الذي سلف، وناقشت طبقًا لما هو قائم فأنتقل إلى الحديث عن مظاهرها عرضًا ومناقشة في الفصل التالي إن شاء الله تعالى.

---

(١) سورة الأنعام: الآية (١٠٢).

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

الفصل الثالث

مظاهر المادة عند التطوريين "عرض ومناقشة"

لما كان المظهر لشيء ما هو الصورة الخارجية التي تبين عنه، فقد صار الحديث عن مظاهر المادة لدى التطوريين ينال جانبًا كبيرًا من عنايتهم، وسأحاول إبراز أهم تلك المظاهر المتعلقة بالمادة من خلال ما يلي:

المظهر الأول : الحديث الذاتي :

(أ) ـ العـــرض :

يعتقد التطوريون أن المادة تتحدث عن نفسها بلسانها، فهي تارة تبدو تجمع بين أكثر من جانب، وإذا سألت جميع العقلاء عن هذه المظاهر كان الجواب أنها مظاهر مادية، يقول: "وياخوت"، "إن المادة في حديثها عن نفسها تكون غاية في الصراحة والوضوح، بل هي تدفع إلى الاعتراف بتلك الصراحة وهذا الوضوح، وتقول لأصحاب الاتجاهات الخرافية الذين يعتقدون في وجود موجودات غير مادية تؤثر في المادة إنما هي من قبيل الخرافات لا من قبيل الحقائق العلمية"[1].

كما يؤكدون أن هذا الحديث الذاتي من أزلية المادة وقدمها لا يتوقف وكلما حاول الباحثون القيام بعمل يعاكس أو يخالف تلك الحقيقة المادية ارتد على أصحابه بإعلان إفلاسهم وعجزهم عن مقاومته، فالمادة

(١) سيركين وياخوت، أسس المادية من خلال رؤية ديالكتيكية ص٤١، ص٤٢، ترجمة: عادل حسن، ط موسكو، دار التقدم ١٩٨٧م.

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

ناطقة بلسان فصيح أن لا شيء وراء المادة مهما كان شكلها، أو الصورة التي تبدو فيها.

يقول "شاخت" إن المادة في حديثها عن نفسها تعلن عنه من خلال الحركة، فهي ليست صماء كما يعتقد البعض، وإنما هي متحركة متطورة سابقة في وجودها كل شيء، وكل لغة في العالم إنما هي لغة المادة، فالذي ينطق الكلمات هو اللسان وهو مادة، والذي يتأمل الأشياء عن طريق العينين يجدها مادة، بل إن الحواس كلها تتحدث بلسان المادة - فالمادة وحدها هي الموجودة، ولا شيء وراء المادة[1].

ومن المؤكد أن فكرة حديث المادة عن نفسها كما يعتقده هؤلاء لا يمكن مروره على ذي العقل الواعي من غير إدراك المغالطات التي قام عليها .

ب) المناقشـــة :

من المؤكد أن التطوريين قد أفرغوا ما في جعبهم الفكرية حول الحديث عن أزلية المادة، وقد بان من العرض للمظهر الأول لديهم (الحديث الذاتي) أنهم يعتمدون على استنطاق المادة، ويؤكدون أنها تدافع عن نفسها، ويصفون المؤمنين بالغيب أنهم واقعون في قبول الخرافات وما يمكن وصفه بالبعد عن الحقائق العلمية[2].

---

(١) جورج شاخت، الفلسفة التطورية والحركة العاقلة ص٨٣، ترجمة: أ/ إحسان فوزي، ط المعرفة، بيروت ١٩٩٨م.

(٢) أصحاب الفكر المنحرف دائمًا يحاولون إلصاق التهم بمخالفيهم اعتقادًا منهم أن ذلك يخفف من حدة المناقشات التي توجه إليهم، وبالتالي فليست لديهم حقائق

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

خالفوا الحقائق العلمية كما خالفوا المعتقدات الدينية الصحيحة، وهاأنذا أناقش المظهر الأول على الجوانب التالية:

الجانب الأول ـ ما يتعلق بالمادة نفسها:

دلت الدلائل العقلية والنقلية على أن المادة صماء، ولا تستطيع أن تستوعب شيئًا بدليل أن الإنسان العاقل لو وقف عمره أمام قطعة من الأرض الهامدة وظل يلح عليها في أن تخضر بها نباتاته ما استجابت له، وربما فنيت الأعمار وانتهت الآجال وهي على حالها لا تصغي له سمعًا ولا تخفق له طلبًا، ويكفي على هذا الدليل أن كافة الأعمال التي تدور عليها لا شيء منها يمكن نسبتها إلى المادة لا فعلاً ولا تركًا[1].

بل إن المادة لسان حالها، أغني عن مقالها فلو كانت غير مخلوقة لاعتبرت أزلية، أما وإنها قد خلقت ولها بداية فمن المؤكد أن هذا الخلق ليس من شأنها وإلا لزم وقوع المحالات العقلية ومنها أنه يلزم وجودها قبل خلقها ويتأخر خلقها عن وجودها فيقع الجمع بين المتناقضين، والمعروف أن

ثابتة، بل هم ينكرون الحقائق المطلقة، وتلك من المشكلة التي أوقعوا أنفسهم فيها، وما زالوا متأثرين بنتائجها، والعاقل من يبتعد عنهم، ولا يقبل أفكارهم لقوله تعالى: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ﴾ [سورة الأنعام: من الآية (١١٦)].

(١) الشيخ/ محمود عبدالعظيم أبو الفضل السروي، "هذا خلق الله"، ص٧٣، المطبعة العصرية، ١٩٢٧م.

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

الجمـع بـين المتناقضـين مـن جميـع الوجـوه محـال طبقـًا لقـوانين الفكـر الأساسية، ومنها الذاتية والغيرية وعدم التناقض[1].

بل إن الحديث عن عملية محادثة المادة مع جزئياتها تشهد بأن لها خالقًا لأنها حينما تتحدث مع جزئياتها فذلك عن طريق الفطرة الشاعرة التي نبهت إليها آيات القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾[2].

يقـول الشـيخ/ النعمـاني، أجـل إن السـماوات والأرضـين بكـل أجزائهما أصغين للأمر الإلهي إصغاء من يريد الطاعة ولا يفكر في المعاندة وذلـك بفطـرة شـاعرة قامـت أصـولها علـى التسـبيح[3]، وتمـددت في كـل أجزائهما حتى صار الأمـر الإلهي مرددًا في الـوعي على أحسـن ما يكـون،

---

(١) قوانين الفكر الأساسية المشار إليها غير أحكام العقل الثلاثة، وأعني بها الواجب، وهو الموجود الثابت الذي لا يقبل العدم أبدًا، وهو الله سبحانه وتعالى، ثم المستحيل، وهو الذي لا يقبل الوجود أبدًا بحال من الأحوال كشريك الباري جل علاه، ثم الأخير، وهو الممكن الذي يتساوى وجوده وعدمه، فإذا وجد فلابد له من مرجح، وإذا أعدم فلابد له من مرجح، والمادة أحد الممكنات فلا تكون واجبة ولا مستحيلة. الأستاذ/ عبدالله محمد علوان الشافعي، والشيخ/ صبري محمود فوزي، "ملامح العقيدة الإسلامية في الكتاب والسنة"، ص١٠٣، ١٠٤، ط ومراجعة الشيخ/ فرج الله الكردي، ١٣٣٥هـ.

(٢) سورة فصلت: الآية (١١).

(٣) التسبيح المراد هنا مشار إليه بقوله تعالى: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ ﴾ [سورة الإسراء: من الآية (٤٤)]



وهـذا ممـا يشـهد بـأن الخـالق هـو اللّه ولـيس أحـدٌ سـواه[1]. وبهـذا يكـون الحـديث الـذاتي الـذي تمسـك بـه التطوريـون شـاهدًا بوجـود اللّه وتوحيـده وكمال علمه وتمام قدرته، واللّه سبحانه وتعالى أبان هـذا الجانـب الـدلالي في قولـــــه تعـــــالى: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[2].

وقد نبه الشيخ/ الصـابوني إلى هـذا الوجـه من ذات الجانـب الـذي ينتهـي إلى إبطـال الحـديث الـذاتي طبقًـا للفهـم التطـوري علـى أن الحـديث الذاتي في المادة وجزئياتها إنما هو من صنعة اللّه لا مـن صـنع غـيره، فيقـول: "هذا الذي تشاهدونه وتعاينونه هو من مخلوقات اللّه، انظروا إلى السماوات والأرض، والإنســان، والنبــات، والحيــوان، بــل وســائر مــا خلــق اللّه، ثــم تفكروا في آثار قدرته وبديع صنعته، ثم أخبروني بعد ذلـك أي شـيء خلقته آلهتكم التي تعبدونها مـن دون اللّه، يستوي في ذلك جميع الآلهة المعبـودة، ومـن تـرك عبـادة الإلـه الخـالق العظـيم المـدبر فإنـه يكـون أحـط شـأنًا مـن الحيـوان"[3].

وبهذا بان أن الحديث الذاتي الذي تمسك به هؤلاء على أنه المظهر الأول لقدم المـادة وأزليتهـا أمكـن توظيفـه لإثبـات وجـود اللّه تعـالى وتوحيـده

---

(١) الشيخ/ صـالح بـن محمد بن علـي النعمـاني الحنفـي، "مـن أسـرار الكـون"، ص٣٨، ٣٩، مطبعة مصر ١٣٣٥هـ، بجوار محطة مصر.
(٢) سورة لقمان: الآية (١١).
(٣) صفوة التفاسير، ج١٢، ص٤٨٩.

تـلـيـفـون / فـاكـس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

وأنـه الأول والآخـر والظـاهر والبـاطن، وأن مـا سـواه مخلـوق محـدث بغـض النظر عما يجري في عقول هؤلاء وأمثالهم.

بـل يـذهب الـدكتور/ الأنصـاري إلى أن حـديث المـادة الـذاتي هـو التسـبيح لله تعـالى ولـيس معنـاه اسـتخدام مفـردات لغويـة علـى مـا يجـري في أعرافنا، وإنما هو القيام بالتكليفات الربانية على النحـو الـذي تنضبط بـه شئون الكون واستمرار الحياة، إن المادة تجري فيها أحاديث ذاتية، لا شـك في هـذا مـن الناحيـة العلميـة[1]، وإنمـا الـذي يعجـز عـن فهمـه التطوريـون وأمثالهم هو الترجمة الحقيقية لتلك الأحاديث الذاتية والاستدلال بها على وجود الله تعالى ووحدانيته وتمام علمه وكمال قدرته، وأنه سبحانه وتعـالى واسع العلم صاحب المغفرة[2].

يمكن القـول بـأن الحـديث الـذاتي وهـو المظهـر الأول لأزليـة المـادة كما يزعمون عانـدهم ولم يقـف لصـالحهم وشـهد علـيهم، ولم يشـهد لهـم، وذلك من السنن الإلهية ومن جادل في شيء منها ما صح أن يوصف بأنـه مـن عقلاء البشرية.

---

(١) يـذكر" فيجـاس" أن جزئيـات المـادة يـدور بينهـا حـديث متواصـل، وقـد أكـد الفيزيـائيون أن هذه الأحاديث قصدية ومـا مـن جانـب فيزيـائي تنبـه إليـه العلمـاء وأصغوا إلى حديثه إلا بان لهم أنـه يمـارس وظـائف يصـعب عليـه الانفلات منهـا، ومن المؤكد أن قوة عليا هي التي صاغت تلك المواد، وهذه الأحاديث ومن ينكر ذلك أو ينسبه لغير القوة الغيبية فمن المؤكد أن عقله ضل طريقه في الوصـول إلـى الحقـائق العلميـة. أندريـه فيجـاس، "الفيزيـا والميكروفيزيـا علاقـات تبادليـة"، ص١٠٥، ١٠٦، ترجمة: د/ محمود صبحي، ط بيروت، ١٩٨٥م.

(٢) الـدكتور/ عبـد الحكيم حسـن الأنصـاري، "الكـون يشـهد بوجـود الله"، ص١١٧، ١١٨، ط ثالثة، مطبعة الهلال، ١٩٨٧م.

☎ تـلـيـفـون / فـاكـس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧



Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

الجانب الثاني ـ ما يتعلق بطبيعة المادة:

إن كل ذي عقل يدرك المادة في كل صورها وأشكالها، أنها قابلة للتجزئة والتركيب كما تقبل الإضافة والإنقاص، وبالتالي فطبيعتها هذه تؤكد أنها حادثة مخلوقة، وليست قديمة خالقة أما لماذا؟ فلأن القول (بقدم المادة أو أزليتها قدمًا مطلقًا أو حقيقيًا يؤدي إلى اعتبارها خالقة بأي معنى من المعاني)(١). ولكن هذا الفهم منقوض بالوجوه سالفة الذكر وهي قابليتها للتجزئة والتركيب والإضافة وغيرها، فطبيعتها ناطقة بأنها مفعولة بها وليست فاعلة في غيرها؛ لأن فاقد الشيء لا يعطيه.

ثم إن القابل للكثرة والتركيب على ما نبه إليه صاحب شرح المواقف يقبل التجزئة والبساطة، ومن كان شأنه كذلك فلا يكون إلهًا أبداً(٢). وما دامت طبيعة المادة تقبل كل ما ذكر، فإن من المؤكد اتصافها بالابتداء والانتهاء والضعف والاحتياج، وكلها داخلة في نطاق أحكام الضرورة العقلية القاضية بأن ما يقبل التركيب والتحلل والانقسام والتجزئة يكون ممكنًا، والممكن حادث باعتباره يقبل أن تجري عليه عمليتا الوجود والعدم.

يمكن القول بأن أصحاب الفهم الضيق الذين رددوا القول بقدم المادة وأزليتها ربما دفعهم هذا التصور إلى الزعم بأنها كاملة في ذاتها لا يعتريها نقص، والحق أن طبيعتها تشهد بعكس ذلك، أما لماذا؟ فلما نبه

---

(١) الأستاذ/ محمد قطب، مذاهب فكرية معاصرة، ص٢٧٩.
(٢) السيد الشريف الجرجاني، شرح المواقف، الموقف الخامس، ص٢٣٧، ط محمد علي بيضون.

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧


Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

إليه صاحب مطالع الأنظار الذي أكد على أن الذي يقبل الوجود والعدم يكون حادثًا والذي يقبل التجزئة والتركيب يكون حادثًا، ومن المؤكد "أن الشيء المعدوم الذي توجه القصد إلى تحصيل وجوده يكون حادثًا، أما لماذا؟ فلكونه حدث بعد أن كان معدومًا؛ وبناءً عليه "فتأثير الفاعل المختار يستلزم حدوث الأثر وقدم الأثر ينافي حدوثه، فقدم الأثر ينافي تأثير الفاعل المختار؛ لأن منافي اللازم منافٍ للملزوم"[1].

ومن هنا ثبت أن المادة حادثة بحدوث طبيعتها، والحادث يحتاج إلى الصانع الحكيم ضرورة؛ لأنه الذي يخرجه من العدم إلى الوجود.

الجانب الثالث ـ خروجها عن المسئولية:

من المؤكد أن القول بقدم المادة وأزليتها يفضي إلى ضرورة اعتبارها مسئولة عن العمليات التي تطرأ عليها، بل والتعديلات التي تتم في أجزائها مما يحتم بوقوعه المشاهدة، وتؤكد عليه التجربة، وبناءً عليه فلو كانت المادة قديمة قدمًا مطلقًا كما يزعمون أو فاعلة بذاتها كما يرددون لما أمكن القيام بهذه العمليات عليها، بل ولصارت مسئولة عن كل ما يطرأ عليها، وبناءً عليه فقد ثبت أنها حادثة مخلوقة لا قديمة ولا أزلية، ولا خالقة، يقول الشيخ حسن عبد المعبود فهمي الحنفي: "إن القديم واحد هو الله، وقدمه لذاته، وبذاته ومن ذاته، كما أن وجوده هو ذاته وما سواه يكون مخلوقًا له مسبحًا بحمده مقرًا بوجوده، لا يتحمل من الأمانات إلا ما

(١) العلامة الشيخ أبو الثناء شمس الدين محمود الأصفهاني، مطالع الأنظار على طوالع الأنوار للبيضاوي، ص١٢٩.


Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

حمله الخالق العظيم به، فلا قديم سواه، ولا فاعل إلاه، وما سواه مخلوق مربوب له مصنوع بيديه[1]، وما دامت المادة غير مسئولة عما يجري فوقها، فمن المؤكد أنها حادثة وليست قديمة بحال من الأحوال، فحديث المادة عن ذاتها شاهد بأنها صماء جامدة غير عاقلة تفتقد الإدراك والإرادة والعلم.

المظهر الثاني : الحركة الذاتية:

يعتقد التطوريون أن الحركة في الكون المادي كامنة بالنسبة لمن ينظر إليها وليست ساكنة؛ لأنهم يفرقون بين الكمون والسكون، فالكمون معناه لديهم وجود الحركة من الذات في الداخل على نحو استرضائي، فإذا أرادت الحركة الخروج من دائرة الكمون أمكنها ذلك ولا منازعة، ويذكر "ماركس" هذه الفرضية مؤكدًا أن الطبيعة "المادية قد وجدت دائمًا وفيها الحركة الكامنة وستظل أبدًا"[2].

وإذا كانت الماركسية من طبيعتها أنها لا تتبنى قضايا، وإنما تثير مشكلات قد لا تبحث لها عن حلول، فإن المسألة لدى هؤلاء قائمة في كون الحركة ذاتية داخل المادة، وعلى هذا الأساس ستظل المادة في حركة دائمة لا تنقضي. ومن المؤكد أن هذه الفكرة حول حركة المادة الداخلية ربما وجد لها صدى عند مفكري اليونان الأقدمين حيث ذهبوا إلى القول بقدم العالم بناءً على فرضية استمرار وجوده وكونه معلولاً

(١) العقيدة الإسلامية وآثارها العقلية والمعرفية، ص١٣٨، مطبعة الشباب بالقاهرة، ١٩١٧م.
(٢) كارل ماركس، بؤس الفلسفة ص١٩٧، ترجمة: يحيى فوزي، مراجعة: د/ عادل شويخ، ط ١٩٤٥م.


Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

لذاته، أو من ذاته مساويًا لآخر اشتركا في الزمان، وانتهوا إلى أن العالم قديم وأنه نشأ من عناصر مادية وهي جميعها أزلية[1]، نظرًا لوجود التحولات الذاتية للمادة من داخلها وفي داخلها أيضًا.

(ب) المناقشـــة :

المعروف أن التطوريين اعتبروا من مظاهر أزلية المادة الحركة الذاتية، وحاولوا قدر إمكانياتهم التأكيد على فرضية (إن الطبيعة المادية قد وجدت دائمًا وفيها الحركة الكامنة وستظل أبدًا تعبر عن نفسها في الصور التي تجئ معها أو تنهض لها)[2]. غير أن وجود الحركة داخل المادة على أنها أمر ذاتي ينتهي بأصحابه إلى القول بأزلية المادة وهذا يحتاج العديد من الجوانب المتعلقة بالمناقشة وأبرزها:

الجانب الأول ـ الخروج على المقتضى الطبيعي:

المعروف لدى الجميع أن الذي يفتقد الروح والنفس والإدراك الواعي يسمى جمادًا من حيث إنه لا عقل له، ولا حس فيه، بجانب أنه يفتقد الإرادة، كما يفتقد عناصر التقدم الحضاري، وبالجملة فالجماد

---

(١) ممن نبه إلى فساد هذا الاتجاه الإمام الغزالي في كتابه تهافت الفلاسفة ص٥١، تقديم وضبط: أحمد شمس الدين، ط دار الكتب العلمية، بيروت، أولى ١٤٢١هـ ـ٢٠٠٠م، وراجع للباحث: محمد أبو عاقلة الترابي ، أبو بكر بن طفيل الأندلسي وآراؤه الفلسفية ص٢٨٥، رسالة دكتوراه بكلية أصول الدين بالقاهرة ١٤٠٥هـ ـ١٩٨٥م.

(٢) كارل ماركس، "بؤس الفلسفة"، ص١٩٧، ترجمة: يحيى فوزي، مراجعة: د/ عادل شويخ، ط ١٩٤٥م.

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

مفعـول بـه لا فاعـل بذاتـه[1]، والمـادة هـي ذات الجمـاد في صـورته الطبيعيـة والدلائل كلها على هذه التفرقة وعملية التمييز لا تنكر.

يقـول الشيـخ/ الصـافوري (ت:٩٠٧هـ) إن سنـن الله تعـالى جـرت في التمييـز بـين أنـواع المخلوقـات، فمنهـا مخلوقـات عاقلـة كاملـة في عقولهـا كالإنسان والملائكة فيما أخبرنا به، ومنها مخلوقات ذات عقول غريزية ترتبط بمصالحها الحياتية كالحيوان، وما كان من هذا القبيل عرفناه أو لم نعرفـه،ومنها مخلوقـات لا نحكـم بوجـود عقـل فيهـا طبقـًا لمقاييسـنا ويـدخل في ذلـك النبـات والجمـاد، ولا يسـتطيع عاقـل الـزعم بـأن حـائط البسـتان، أو جـدار الـدار يسـتطيع أن يعـبر بلسـان المقـال كمـا يفعـل ذوو العقول، فبان أن مرد ذلك إلى قدرة الخالق العظيم جل علاه[2].

وما دامت المادة قد استقر الأمر على أنها جماد بالنسبة لأحكامنا عليها، فمـن المؤكـد أن وجـود حركـة بداخلـها أيًـا كانـت تلـك الحركـة، فلا تنسب للمادة، وإنما تنسب للذي خلق المادة، وخلق الحركـة، وجعـل مـا

---

(١) نبهت الدلائل اللغوية كلها على وجود الفوارق العديدة بين الإنسان والحيوان والنبات والجماد، وصارت هذه الفروق اللغوية بمثابة التعبير الدقيق عن الخصائص الذاتية، وجاءت قوانين الفكر الأساسية لتزيد هذه الفروق تميزًا ووضوحًا بالنسبة لما هو جار في السنن الإلهية. ويعتبر الإمام الغزالي من أكثر الذين نبهوا إلى تلك الفروق من الناحية الوظيفية في كتابه الحكمة في مخلوقات الله ـ مجموعة رسائل الإمام الغزالي ـ الحكمة في مخلوقات الله ـ حيث تناول السماء، والشمس، والقمر، والبحر، والماء، بل الهواء والنار، ثم انتقل إلى الحكمة في خلق الإنسان، ص ٧ ـ ١٨، ط دار الفكر، بيروت ـ لبنان، إشراف مكتب البحوث والدراسات.

(٢) الشيخ/ حسن بن علي بن حسن الصافوري الحنفي، دلائل التوحيد، ص١٠٣، تحقيق الأستاذ/ علي السيد شكري، مطبعة المعصر ـ المغرب، ١٩٦٥م.


Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
☎ تـليـفـون / فـاكـس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

يحدث في المادة من مظاهر قدرته وعلمه وحكمته، وكلما قامت فرضية في عقول هؤلاء وأولئك على أن الحركة ذاتية للمادة فيمكن حملها على الإضافة أو الوصف وليس الإنتاج أو الفعل، بمعنى أنها قابلة للحركة وليس أنها متحركة بذاتها، وفي هذا دليل على أنها مخلوقة لا خالقه[1].

الجانب الثاني ـ المميز العقلي:

يذهب التطوريون إلى أن الحركة التي تدور في المادة ذاتية، بمعنى أن المادة هي التي أوجدتها، وهذا بطلانه ظاهر لدى الجميع، أما لماذا؟ فلأن من لديه عقل يفرق بين قابلية المادة للحركة من حيث إنها ممكن، وقدرة المادة على الفعل،وهذا أمر مستحيل، وبالتالي فالتفرقة بين القابلية للفعل وهو الحركة وبين القيام بالفعل تمثل الصورة التي يجب الالتفات إليها.

يقول الشيخ/ الزفتاوي: "من المسلم به لدى المتدينين أن الله تعالى هو الخالق للكل، ويجب أن يكون المسلم به، أن الخالق للكل هو المحرك للكل أيضًا، إذ لا يعقل أن يكون خالقًا له غير محرك إياه، بل إن

(١) كالحال في الزلازل والبراكين، فإنها عبارة عن حركات تجري بالمادة وتخصها دون غيرها، ومن هذا القبيل يمكن وصف الحركة التي تدور في المادة بأنها حركة ذاتية، والمراد بالذاتية هنا ما يطلق على المادة وحدها أو على نوع من المادة بذاته باعتبار أن المادة تدور في صور، فقد تكون غازية، أو سائلة، أو صلبة فقبولها للحركة مرتبط بتلك الصور التي تجئ عليها، ويستأنس لهذا بظاهر قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾[سورة النمل: الآية (٨٨)].


Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

المتكلمين في حديثهم عن أفعال العباد انتهوا إلى أنها مخلوقة لله تعالى في أصلها مقدورة للعبد بما يسره الله له، وبذا تثبت العقيدة، وتصح الشريعة، ويستقيم الأمر(١).

بل من المؤكد أن ما فهمه التطوريون يبتعد بهم كثيرًا عن ميدان البحث العلمي، ويلقي بهم في غياهب التنظير التي تفتقد الأصول العامة من حيث إن القابلية للحركة المقترنة بالمادة ليست هي الفاعلة للحركة، وإلا كنا نحتاج إلى عقل آخر نميز به بين ما إذا كنا من العقلاء أم من غيرهم، والعقل في الإنسان من أنعم الله تعالى، وقد ذهب الغزالي إلى أن العقل نور روحاني به تدرك العلوم البديهية والنظرية(٢). وما دامت المادة تخلو من ذلك النور الروحاني، وهو العقل، فلا يمكن أن تتحرك بذاتها ولا أن تقوم فيها حركة مقصودة من المادة نفسها، وإلا توقعنا أن تتحول الأرض مثلاً من مكانها إلى مكان آخر تختاره بذاتها، وربما تخلت عن سكانها، وألقت بهم فأخرجتهم عن ميدان احتمالها، وهذا ما لم يقل به عاقل، فدل الأمر على أن الدليل العقلي قاطع بانعدام الحركة الذاتية في المادة، ووجود الحركة التي تمضي شوطها بأمر الله لا إله سواه، وهو المدلول عليه بقوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾(٣).

(١) الشيخ/ منصور بن علي بن صالح الزفتاوي الشافعي"، العقيدة الإلهية في الكتاب والسنة"، ص٦٥، ٦٦، ط الشباب ١٩٢٥م.
(٢) الإمام/ محمد بن محمد الغزالي، "سر العالمين وسعادة ما في الدارين"، ص٤٥٧، ضمن مجموعة رسائل الإمام/ الغزالي، ط بيروت.
(٣) سورة القمر: الآية (٤٩).

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

الجانب الثالث ـ البرهان الفيزيائي:

وهو القائم على الضوابط العلمية التي ترتد إلى الفيزيا والميكروفيزيا، وهو يقوم على أن الحركة لو كانت ذاتية في المادة لأخذت الاتجاه الدفعي المتواصل ولكنها لا تبدو على ناحية ميكانيكية متكاملة بدليل أن حركة المادة المنتظمة تبرز في الكون على وجه كلي، ويتبع ذلك حركة الأرض أمام الشمس وحركة الشمس بصورة دائمة، يقول الدكتور/ السعداوي إن الشواهد الفيزيائية والبيوكيميائية تحسم القول بأن المادة ليست أزلية، إما لماذا؟ فلأن القواعد العلمية تقرر مبدءًا مستمرًا، وآخر انقضى أمره، أما المستمر فهو وجود الحركة، وأما المنقضي فهو وجود السكون، ولو كانت الحركة في المادة ذاتية لما طرأ عليها السكون، ومن المؤكد أن الذين يعتقدون قدم المادة وأزليتها بناءً على القول بالحركة الذاتية قد بعدوا عن الصواب بمسافات كبيرة[1].

ولا ريب أن وجود الحركة والسكون في الكون ليس معناه أن الحركة ذاتية، وإلا ما طرأ عليها السكون، ولا يمكن القول بأن السكون ذاتي، وإلا ما أتتها الحركة، فدل الأمر على أنها حادثة نظرًا لقبولها التغير، والمعروف أن التغير من أدلة الحدوث لدى المتكلمين يستوي في ذلك حدوث الحركة والسكون وهو ما يطلق عليه لدى المتكلمين

(١) الدكتور/ فريد محمود السعداوي، "الكون يشهد بوجود الخالق"، ص٩٣، ط القاهرة، ١٩٩٥م، والدكتور/ أحمد عبدالخالق، "الإسلام والفكر المنحرف"،/ ص١٣، دار الطباعة المحمدية بالقاهرة، ١٩٨٤م.

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧ Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

حدوث الجواهر والأعراض[1]، وهي طريقة خليل الرحمن إبراهيم ـ عليه السلام ـ الوارد ذكرها في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾[2].

أجل إن القوانين الفيزيائية قاضية بضرورة وجود علاقة بين السبب والمسبب، أو بين الأثر والمترتب عليه، والزعم بوجود حركة ذاتية داخل المادة ينعدم بوجود القوانين الرياضية والفيزيائية، بل والفلكية[3].

مما سلف بيانه اتضح أن اعتماد التطوريين على الحركة الذاتية في إثبات أزلية المادة لم يصب هدفاً بقدر ما عرضهم للعديد من الأخطار المعرفية، فما بالك إذا تحولت إلى قضايا عقدية، وأبان البحث العلمي عن وجوه فسادها وحللها وإني لعلى يقين من أن النتائج التي رتبوها على القول بالحركة الذاتية لن تكون لصالحهم.

---

(١) السيد الشريف الجرجاني، "شرح المواقف"، المجلد الأول، ص٣٢١، ط، دار الطباعة العامرة منشورات صهيب حسن الشافعي الأشعري، وبالهامش حاشية الشيخ/ حسن جلبي الفناري، وحاشية الشيخ/ عبدالحكيم السيالكوتي.

(٢) سورة الأنعام: الآيات من (٧٧) : (٧٩).

(٣) راجع للدكتور/ أنور محمود حجي، "المادة بين الأزلية واللا أزلية من منظور فيزيائي"، ج١، ص٨٣، ٨٤، مكتبة التراث، ١٩٨٤م.

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧


Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

المظهر الثالث : التحول الذاتي :

يعتقد التطوريون أن المادة لما كانت حية وقديمة وأزلية، وقد ثبت لديهم أنها تتحدث عن ذاتها، ولها حركة من داخلها، فقد زعموا وجود تحولات ذاتية وإحداث أنواع من التطورات التي انتقلت بالمادة من البدائية إلى مرحلة النشوء، ثم الارتقاء، ومن قبله التطور وذكروا أن هذا من مظاهر وجود المادة وقدمها.

يقول "زون" كنا نعتقد أن المادة جامدة، ثم بان أنها متحركة على خلاف اعتقادنا، وكنا نعتقد أن جميعها لا يحدث نوعًا من الحركة في الداخل، ثم بان خطأ هذا الاتجاه، ولما واصلنا البحث في حنايا المادة بات من المؤكد، بل اليقين العلمي أنها تجري مجموعة من التحولات الذاتية من غير حاجة إلى شيء وراء ذلك، واثبتت التراكيب الجيولوجية والنتائج الإحيائية وجود تلك التحولات ولولاها لما ظهرت الزرافة بعنقها الطويل، وكانت من قبل أحد الكائنات البحرية أو الشاطئية على أقل تقدير[1]. وما دامت هذه التحولات تتم بطريقة ذاتية، فمن المؤكد أن ذلك المظهر مؤكد ثابت ولا يمكن إغفاله، والحق أن هذه النتيجة يقينية وإن اختلف معنا كل من يؤمنون بالغيب[2].

(١) جورج زون، المادية والتاريخ والحضارة ص٩٣، ترجمة: السيد فوزي، ط ١٩٧٨م، المطبعة العصرية.
(٢) جورج بيل، التطور الإحيائي والحركة العاقلة ص١٠٨، ص١٠٩، ط عاشرة، دار التقوى ١٩٧٨م.

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

وما دام الأمر كذلك فإن المسألة التي لا يمكن النزاع بشأنها هي ضرورة الإقرار بوجود التحول الذاتي في المادة، وأنه حقيقة واقعية على ما يعتقده التطوريون ومن يقاسمهم اعتقاد تلك الآراء وصحتها، يقول "بولتيز" كنت في طفولتي اعتقد أن المادة في أبديتها وأزليتها وصلابتها تفتقد عمليات التحول الذاتي إذ كنت استخدم دراجتي البدائية فتتحرك معي كلما مارست ضغوطًا عليها بقدمي أو ذراعي أو حتى منطقة الساق أو العضد، ثم لما صرت تطوريًا وصنعت لنفسي معملاً صغيرًا أجرب فيه دراساتي على المادة أدركت أنها حية متحركة بحركات ذاتية فأعلنت على الملأ ما كنت أتهيب من الحديث عنه في أيام الطفولة[1].

ومن ثم يمكن القول بأن المظهر الثالث من مظاهر المادة لدى التطوريين يعتمد على الجانب الذي يقوم في المادة ذاتها دون احتياج إلى الله تعالى، وهي المشكلة التي يعانون منها، بل إنهم يرون أن المادة هي الموجودة وحدها، وليس هناك شيء ورائها.

أجل ترتب على القول بالتحول الذاتي أن يكون كل ما فيه مادة متحول عن ذاته ومستمر، فنعتوه بالقدرة، ووصفوه بالإرادة، لكنهم أخفقوا في وصفه بالعلم، وتلك نقطة كافية لهدم أفكارهم والنيل من معتقدهم، إذ كيف تكون للمادة وجزئياتها قدرة وإرادة بدون علم، بل كيف تكون لها إرادة وهي تفتقد العلم، والمعروف أن العلم يسبق الإرادة

---

(١) جورج بولتيز، قياسات المادة وحركاتها من منظور تطوري ص١٠٧، ترجمة: عادل فوزي، ط الموصلي ١٩٨٧م.

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

من حيث إنه أعلم منها وأشمل، والإرادة تسبق جانب التنفيذ من حيث إن عملها هو التخصيص، أما القدرة فعملها هو التنفيذ.

يقول الشيخ/ محمود سلطان إن القائلين بأزلية المادة عجزوا عن فهمها، وحينما تصوروها بديلاً عن الإله جل علاه ووصفوها بالقدرة فشلوا في وصفها بالعلم والإرادة؛ لأن ذلك من صفات الله جل علاه وقد اقتضت سنته أن يتفرد بالعلم الشامل المحيط والإرادة التي لا حد لها، أما قدرته فعاملة في الموجودات والمعدومات بقدر سواء طالما دخلت تحت مسمى الممكن[(١)].

غير خاف أن هذا المظهر وما سبقه يكشف عن سطحية في التفكير وسذاجة من ناحية التعبير وخروج على مقتضى الفطرة من ناحية الاعتقاد والتزام غير أدبي بمسايرة الأفكار غير المقبولة، وهم داخلون في نطاق قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ﴾[(٢)].

(ب) المناقشــــة:

إذا كان التطوريون قد اعتقدوا أن المادة أزلية، ونسبوا إليها الحياة والحركة الذاتية بجانب الحديث الذاتي، فقد زعموا وجود تحولات

---

(١) الشيخ/ محمود محمد سليمان الحفني، "العقيدة الإسلامية ومصادرها الأساسية"، ص١٠٨، مطبعة الشباب بالقاهرة، ١٩٤٥م.
(٢) سورة فاطر: من الآية (٨).

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

ذاتية في المادة تنتج عنها عملية إحداث أنواع انتقلت من التطور إلى البدائية، ثم إلى النشوء، وأخيرًا الارتقاء[1].

غير أن هذا المظهر يمكن مناقشته من جوانب عدة:

الأول ـ البيولوجي:

من المؤكد أن التطوريين اعتمدوا في أقوالهم على بعض المظاهر والآثار، لكنهم لم يجدوا البدايات الأولى التي اعتمدوا عليها، بمعنى أنهم في حديثهم عن البيولوجيا وقصة الزرافة وعنقها الطويل ومضي آلاف السنين حتى وصلت الزرافة بعنقها الطويل إلى ما وصلت إليه، فإن البيولوجيا تقف ضدهم[2].

يقول "كيتتر": إن فكرة التحول الذاتي التي قال بها "داروين"، وأمثاله قامت على مجرد أفكار رأسية، وليس وقائع حقيقية، أما قصة الأبقار والنعام والزرافة فهي من الطرائف التي لا تعني الباحث الجاد ولا

(١) المراد بالتطور الأول ما يحدث قبيل مرحلة البدائية الأولى ويقصدون به النقطة التي تحولت من المادة على سبيل السقوط أو التنحي، وهي مسألة بعيدة عن أصول البحث العلمي، كما هي بعيدة عن الفهم الواعي وتدخل أصحابها في دوائر البعد عن الله تعالى، كما تمثل خطرًا على الدين الإلهي يصعب تجاوزه. الأستاذ/ محمود السيد طلبه، "الفكر التطوري الإحيائي وأخطاره على العقيدة الإلهية"، ص١١٤، ط ثانية، مكتبة المنتزه، ١٩٧٥م.

(٢) الدليل البيولوجي هو الذي يقوم على رعاية الجانب النتاجي الجنسي في الكائنات الحية وارتباطاتها الجنسية بدل اللاجنسية. جيمس بريست، "البيولوجيا وعلم التطور الإحيائي"، ص٨٦، ط المكتب العلمي الحديث، ١٩٩٣م، ترجمة: عادل فوزي.

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

تؤيدها نتائج معملية، ويقيني أنها أفكار ليست لها مساحة تقبل التطبيق العملي بشأنها[١].

وبناءً عليه يكون اعتماد القوم على البيولوجيا لا يتفق مع الواقع العلمي حيث لم تقم تجارب علمية تؤكد هذا الاتجاه[٢].

ثم إن الدليل البيولوجي يجئ على عكس المظهر الإحيائي تمامًا، أما لماذا؟ فلأن التحول الذاتي يصح أن يكون سلوكًا للفرد الواعي بحيث يعدل عن طرائقه الغير مقبولة إلى الأخرى المقبولة، والمادة الصماء تفتقر تلك الإرادة - إرادة التحول - وإلا كان القوم قد حكموا على أنفسهم بالتنازل عن عقولهم. يقول الدكتور/ توفيق رمضان: "لقد خلط التطوريون بين الفعل الإكراهي أو الجبري، وبين الآخر الإرادي الاختياري، فالأول يسري في طبيعة المادة وهي مرغمة على السير في الاتجاه الذي رسمه الشرع الشريف، يدل عليه ظاهر قوله تعالى: ﴿ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾[٣]. وبناءً عليه

(١) جورج كتنير، "البيولوجيا من منظور بيولوجي"، ج٢، ص٨٤، ترجمة: حسن محمد أنور، ط القاهرة ١٩٩٨م.
(٢) القواعد العلمية التي قيامها على المنهج التجريبي الحكم فيها يكون للتجربة،وهل عاش واحد من التطوريين حين كانت الزرافة بلا عنق طويل، وظل يراقبها قرون عديدة حتى رأى هذا العنق وهو يستطيل شيئًا فشيئًا حتى وصل إلى ما نراه عليه الآن، إنها مجرد خيالات وأحلام ولا علاقة لها بالعلم التجريبي. الأستاذ/ مجدي عبدالمقصود صقر، "النزعة التطورية وموقف الإسلام منها"، ص٧٦، ٧٧، ترجمة: دار المشرق ١٩٨٦م.
(٣) سورة فصلت: من الآية (١١).

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

تكون فكرة التحول الذاتي خيالية من أصلها وتهدمها المقومات التي عقدوها لها"[1]، وبناءً عليه لا يكون لمظهر التطور الذاتي أدنى أثر.

لقد هاجم الكثيرون من العلماء فكرة التطور الذاتي، وأكدوا أنها لا تقبل على أية ناحية متى ارتبطت بالمادة التي يعرفها الجميع باسمها وموضوعاتها ومظاهرها والضوابط التي لابد منها للحكم عليها. بل لقد أثبت الكثيرون من علماء البيولوجيا أن الزرافة لم يطل عنقها منذ عرفت على الأقل ابتداءً من عصر النهضة حتى يومنا هذا، بل إن أغلب المؤلفات التي تناولت الحيوان فيما قبل عصر النهضة بأنها طويلة العنق ورغم اختلاف المراعي وعدم الاحتياج في البحث عن الغذاء[2].

كما أن قوانين الوراثة الإحيائية قد أقرت بأن كافة الأنواع تورث أفرادها أغلب الصفات الطولية والعرضية ما دام لم يتدخل أحد في الجينات والصفات الجينية، ويدل على هذا أن الخلق المتقن الذي صنعه الله تعالى لما يعين الإنسان على الارتباط بعقيدته الدينية الصحيحة لا مايبعده عنها .

(١) الدكتور/ توفيق رمضان عبده، "نظرية التطور ما لها وما عليها: دراسة نقدية"، ص١٣٥، ١٣٦، ط المكتب العلمي.

(٢) إذا كانت الزرافة في الماضي تعتمد في غذائها على الغابات التي توجد فيها، فإنها ابتداءً من عصر النهضة فقد أخذت الدول في اقتنائها واستئناسها، وتوفير أنواع الغذاء لها كالحال في مراكز البحوث العلمية وغيرها، فلو كانت الزرافة يطول عنقها كلما سعت إلى غذائها والتقطته من أعلى فمن المناسب أن يقصر عنقها ما دام الغذاء الذي يتوفر لها لا يلزمها ببذل مجهود يترتب عليه إطالة عنقها. الأستاذ/ حسن فخري، "ومن كل شيء خلقنا زوجين"، ص١٣٥، ط قصر النيل ١٩٧٨م.

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

الثاني ـ الافتراض التطوري:

وهو الذي يقوم على افتراض وجود أنواع من الطفرات التي تنتقل بالفرد من حال إلى حال، وهذا الجانب الافتراضي لا يتفق مع أزلية المادة، أما لماذا؟ فلأن المادة على القول بأزليتها لا تقبل الطفرات الافتراضية لكونها محدثة ولم يتم التعرف عليها إلا في حدود عصور التفوق الإسلامي، ثم بروز ذلك في الغرب خلال عصر النهضة الحديثة،وبناءً عليه يكون الفكر الافتراضي نفسه ضد فكرة التحول الذاتي(١).

بل يعتقد الكثيرون من الباحثين من علوم البيولوجيا أن فكرة تطور المادة ينهي فكرة أزليتها، أما لماذا؟ فلأن التحول تغير، بينما الأزل ثابت، فإذا سلمنا بالتحول الذاتي قضينا على فكرة الأزلية، وإذا قلنا بالأزلية للمادة امتنع قبول التحول، وهذه نبه إليها الكثيرون من العاملين في المجال الإحيائي(٢). وبهذا تكون فكرة التطور قاضية على فكرة التحول الذاتي وكل منهما تهدم الأخرى من حيث لا تدرك.

الثالث ـ الاستعمال اللغوي:

ومعناه أن اللغة التي هي أثواب المعاني تؤكد وجود اختلاف شديد بين المنطوق اللغوي لجملة التحول الذاتي من ناحية، والتطور الأحيائي من ناحية أخرى. يقول الدكتور/ حسن محمود النويهي: "لقد جاءت اللغة بما

---

(١) راجع للأستاذ/ رفيق السيد السنطاوي، "الفكر التطوري بين القبول والرد: دراسة في الكائن البشري"، ص٦٢، ط مكتبة القصر ١٩٨٤م، القاهرة.

(٢) أ.ب سيزمان، "فكرة الزمان وتطورها"، ص١١٢، ترجمة: هادي فوزي، بيروت، ١٩٧١م.

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧


Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

تحمله من جلال وقدسية لتؤكد استحالة القول بالتولد الذاتي أو التحول الذاتي من حيث إن التحول فيه نسبة الفعل (وهو التحول إلى فاعل مجهول)، فمن هو ذلك الفاعل الذي قام بذات التحول، وحسبي أن هؤلاء لم يدركوا دلالة الألفاظ على معانيها واستخداماتها على جهة الاستعمال المنشود[1]. وفي ذات الوقت فإن فكرة التحول الذاتي إذا أخذت على ظاهرها ولم يتم تقييدها بوضع اللغة، فعلى أي جهة يتم التعامل أو التخاطب. يقول الأستاذ/ زيدان: "إن التحول الذاتي الذي قال به التطوريون يمثل خللاً معرفيًا بقدر ما يمثل خطرًا على الدين واللغة، أما لماذا؟ فلأن إنكار البديهيات جريمة معرفية، كما أن إنكار الاعتقادات جريمة شرعية وبالتالي فإن القول بأزلية المادة والقول بالتحول الذاتي يمثلان خطرًا على العقيدة واللغة معًا، والتطوريون ربما لم يضعوا في حساباتهم ناتج أقوالهم[2].

وفي تقديري أن هذه الجوانب الثلاثة التي وضعت للمناقشة كافية لاجتثاث فكرة التحول الذاتي من أصولها، وإلقائها في سلال المهملات

---

(١) الدكتور/ حسن محمود النويهي، "خطر القول بالتطور على المفردات اللغوية"، ص٥٤، ط القاهرة، ٢٠٠٥م.

(٢) صاحب الحماقة قد لا يدرك العاقبة من حيث إنه يندفع إلى ما يريد دون نظر إلى ما يجب عليه القيام به، ولذا اعتبرت الحماقة من الداءات التي تقضي على أصحابها، وفي الحكم المأثورة:

لكل داء دواء تستطب به ... إلا الحماقة فإنها أعيت من يداويها


Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

التاريخية من غير أن يبحث الأثاريون عنها، فمن الحكم لا قيمة لمعرفة تلقي بأصحابها في أتون الجحيم.

بل إن النصوص النقلية قد أوفت الحديث عن هذا الجانب حين أسندت كل شيء إلى الله ولم تنسب فعل شيء لأحد سواه، منها قوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾[2]، وقوله عز شأنه: ﴿ لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[3]، وقوله جل شأنه: ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾[4]، وقوله جل شأنه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ ﴾[5]. وما دام هو الذي يخرج هذه من تلك بقدرته، فهو ذاته الذي يحي الأرض الهامدة بقدرته، يدل عليه ظاهر قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾[6]، وقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾[7].

---

(١) سورة القمر: الآية (٤٩).
(٢) سورة القصص: من الآية (٦٨).
(٣) سورة غافر: الآية (٥٧).
(٤) سورة الأنعام: من الآية (٥٩).
(٥) سورة الأنعام: من الآية (٩٥).
(٦) سورة الحج: من الآية (٥).
(٧) سورة فصلت: من الآية (٣٩).

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧


Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

لقد قضي القرآن الكريم على كافة الأشكال التطورية التي زعم أصحابها استغنائهم عن الخالق العليم جل علاه، فقال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[1]، ومحل الشاهد أن الله سبحانه وتعالى وعد العقلاء جميعًا أنه سيريهم من آياته في الكون دقيقه وجليلة صغيره وكبيره، كما يريهم دلائله في أنفسهم فلا تكون القدرة الفاعلة إلا من صفاته، والحكمة الكاملة إلا له جل شأنه فهو العزيز الحكيم وفوق كل ذي علم عليم، يقول العلامة / الفخر الرازي: "أن المراد بآيات الآفاق الآيات الفلكية والكوكبية وآيات الليل والنهار وآيات الأضواء والإضلال والظلمات وآيات عالم العناصر الأربعة وآيات المواليد الثلاثة، وقد أكثر الله منها في القرآن، وقوله وفي أنفسهم المراد منها الدلائل المأخوذة من كيفية تكون الأجنة في ظلمات الأرحام وحدوث الأعضاء العجيبة والتركيبات الغريبة"[2].

كما نبهت آيات القرآن الكريم إلى جانب هام، بل هو المهم والأهم، وأعني به ما يتعلق بعملية التذوق المشار إليها في قوله تعالى: ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[3]، وبالتالي تكون عملية التفضيل بينها في الأكل مما

---

(١) سورة فصلت: من الآية (٥٣).
(٢) الإمام / فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، ج٢٧، ص٥٧٣، ط الثالثة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ.
(٣) سورة الرعد: الآية (٤).


Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

يقضي على فكرة أزلية المادة، ويثبت أنها محدثة؛ وأن الخالق العليم للجميع هو الله، وقد تحدى كل المخلوقات الإتيان بما خلقوا إن كانوا يظنون ذلك، فقال تعالى: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[1]، ومن ثم يكون القول بحدوث المادة هو المقبول على ناحية علمية وشرعية وإحيائية.

أجل لقد مثلت الأفكار التطورية الإحيائية على الناحية التي سلفت الإشارة إليها أخطارًا كثيرة على العقيدة الإلهية أبرزها تأليه المادة تارة، وتأليه الطبيعة أخرى واعتبار التولد الذاتي بديلاً عن الألوهية وكلها لا تقدم نفعًا، بل تقدم خرابًا ودمارًا، وتقرر الآيات القرآنية أن هذه الدعاوى الواسعة تضيق بأصحابها عندما يطلب القرآن الكريم منهم تسمية هؤلاء الذين يعبدون من دون الله أو يجعلونهم شركاء له جل علاه، يدل عليه ظاهر قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ ﴾[2].

(١) سورة لقمان: الآية (١١).
(٢) سورة الرعد: من الآية (٣٣).

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

الخاتمـــــة

تمثـل الخاتمـة في البحـث العلمـي نقطـة الارتكـاز الـتي تتلاقـى عندها النتائج وتدور بين جنباتها التوصيات، ومن ثم فإني أشير إلى:

أولاً ـ أهم النتائــج:

١ـ أن العقيـدة الإلهيـة ثابتـة في النفـوس قائمـة بـالفطر السـليمة، تجـد لهـا دعمًا في القلـوب والعقـول ومهمـا حـاول الإنسـان طمـس بعـض معالمهـا، فإنـه قـد لا يجـد إلى ذلـك سـبيلا، بـل تظـل الفطـرة بـه تلومـه للخـير ترشده، وعن الشر تصده؛ لأنهـا ناطقـة بوجـود اللّه تعـالى ووحدانيتـه، شـاهدة بكمـال علمـه وتمـام قدرتـه، تقـرر أن لـه تعـالى الجمـال والكمال والجلال والإكرام.

٢ـ أن تلك العقيـدة الإيمانيـة لا تـؤثر فيهـا النزعـات الشـيطانية، أمـا لمـاذا؟ فلأن كل ما صنع اللّه شـاهد بوجوده، وتوحيـده جـل عـلاه، وفي كـل شيء له آية تـدل علـى أنـه الواحـد، أمـا الأفكـار الـتي تـتردد بـين ذوي العقـول البعيـدة عـن الشـرع الإلهـي، فمـا هـي إلا نـزغ ألقـاه الشـيطان، واللّه تعالى نبه أهل الإيمان إلى عدم الإصغاء لشيء من نزغ الشـيطان، فقـال تعـالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٌ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
☎ تـلـيـفـون / فـاكـس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

عَلِيمٌ ﴾[1]. وبناءً عليه تكون العقيدة الإلهية هي صمام الأمان بالنسبة للمسلم على أية ناحية اعتقادية.

٣- أن الأفكار التطورية التي قال بها الإحيائيون تمثل وجهات نظر لا تنهض لها أدلة علمية، ولا تستقيم مع قواعد شرعية، وبناءً عليه تكون حكاياتها من قبيل المعارف التي يدور أمرها بين الصواب والخطأ، فإذا اعتقد أصحابها صحتها وجعلوها مثيلاً للمعتقدات الدينية الإسلامية، فإن المسألة تخرج بهم إلى دائرة الإلحاد، والله تعالى حذر من ذلك في آيات عدة، منها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ﴾[2].

٤- أن القول بأزلية المادة على معنى قدم المخلوق لا يخرج صاحبه عن الوصف بالإسلام، بينما القول بقدم العالم على أنه خالق يختلف أمره عن الأول، وهي مسألة واضحة البرهان، فلا تحتاج الجدل ولا استقامة عضو اللسان.

٥- أن القول بقدم المادة واعتبارها خالقًا حتمًا يقفز بصاحبه إلى القول بأنها كاملة في ذاتها ولا يعتريها نقص، ولا يصيبها ضعف، وبهذا يخلعون على المادة الصماء الجامدة وصف أنها الخالق وليست المخلوق، بل إن وقوفهم بالمادة عند هذا الحد يجعلهم قد نظموا أنفسهم بين صفوف أهل الإلحاد على أية صورة من الصور.

(١) سورة الأعراف: الآية (٢٠٠).
(٢) سورة فصلت: من الآية (٤٠).

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

٦- اعتقاد أن المادة أزلية فيه انتقاص من مدركات العقل الواعي باعتبار أن أزلية المادة تستلزم وجوها عديدة كلها فاسدة، بجانب أن فيها قلبًا للحقائق من حيث إن المادة ممكنة، والأزل المطلق لا يكون إلا للّه وهو الواجب الذي لا يقبل العدم أبدًا، فصار القول بأزلية المادة يمثل الإعلان عن قلب الحقائق، وأهل العلم يقررون أن حقائق الأشياء ثابتة والعلم بها متحصل ولم يخالف في ذلك إلا من أنكروا الحقائق المطلقة واعتبروا الإنسان مقياس كل شيء فضلوا وأضلوا.

٧- أن القول بالحركة الذاتية فيه هدم للمبدأ ذاته؛ لأنه ذاتية الحركة إذا حملت على غير العرضيات خالف الحمل قواعد المقولات، وإذا كان المنطق اللساني قد عني بعصمة الألفاظ عن الوقوع في غي الخطأ، فإن المنطق الجناني قد أعفى العقل من الوقوع في الضلال، وتلك مسألة يفتقد وجودها لدى التطوريين ومن سار على دربهم.

٨- أن القول بالتحول الذاتي يعبر عن نزعة بعيدة عن مرمى العقل الواعي، وإذا افتقد الإنسان أو فقد عقله الواعي، فإنه يتحول إلى إنسان آخر تغلب عليه الهمجية والوحشية بجانب الرغبة في الخروج على دين رب البرية، والقول بالتطور الإحيائي يستلزم القول باستصحاب المعتقدات الفاسدة والخروج على دين اللّه.

٩- أن القول بأزلية المادة يرتبط ارتباطًا وثيقًا بفكرة التولد الذاتي، حينئذ تأتي فكرة التحول والتولد كأنها قضايا اعتقادية مع أنها نتائج بحوث معرفية، ولو أنها ابتعدت عن دين رب البرية ما تخوف منها باحث إلا بقدر ما يخاف المجتهد من بلايا النكبات البشرية، حيث الحقد والحسد والأنانية.

ثانيًا ـ أهم التوصيـــات:

توصـي الدراسـة بجملـة مـن التوصـيات بحيـث تـتم لهـا عمليـة التكامل النوعي، إذ ليس من المعقول أن تظل الدراسـات نظرية بعيـدة عـن الواقع العملي، مع أن المعارف الإنسانية ترتبط غاياتها بالوقائع التطبيقية، ومن أبرز تلك التوصيات ما يلي:

١- ضرورة إنزال المعارف التطبيقية إلى ميدان الحكم عليها من الناحية العقدية، وأن تكون تلك العملية استهدافية بمعنى أنها تلحق خلف النتائج فلا تدعها حتى تلحق بها، وتكشف عن طبيعتها، وتصنفها، ثم تلحقها بالحكم عليها، فيحذر منها الأغرار ويخشى آثارها التدميرية أولئك الذين اعتبروا أنفسهم خدمًا لها أول أمرها، ثم بان فشلها فسارع بالتخلي عنها من كان يظن الخير بها.

٢- ضرورة الاهتمام بتثبيت المعتقدات الدينية الصحيحة والتنبيه على الأخرى الفاسدة، ففي ديار المسلمين الكثير من المستضعفين.

٣- ضرورة وضع برامج ثقافية يتم تدريب الكثيرين في جامعة الأزهر عليها من حيث إنهم يمثلون حائط الصد عن ديار المسلم من الناحية البدنية العسكرية إلى غير ذلك من الوجوب.

٤- الأخذ بعين الاعتبار أن الأفكار التطورية لا تقوم كلها على الخطأ، بل فيها من هذا وذاك، والأجدى للمسلم أن ينزع عن وجهه غلالة التبعية.

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

٥- أن القائلين بأزلية المادة تعمدوا الخلط بين المعارف الصحيحة والمعتقدات الفاسدة، وكان الأولى أن تكون إحداها في بيت، والأخرى في بيت آخر، فالمقبولة لا تعادلها أخرى، وهي مسألة تستوجب مراجعة ما كتب حول تلك القضايا مع التركيز على أننا مجندون من الله تعالى للدفاع عن عقيدة الإسلام، فقد ثبت أن كلا منا يجب احتفاظه بإنسانيته والحذر من تحويله إلى ما يشبه أولئك الذين ألقوا في بحر مياهه مضطربة غير جاذبة وآخرون ينظرونهم يسألون الله تعالى أن يردهم سالمين غانمين فذلك مما توجبه الشريعة على المكلفين حتى يستقيم شرع الله رب العالمين.

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧ Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

المراجــــــع

القرآن الكريم ـ جل من أنزله.

المصــادر والمراجـع مرتبـة حسـب حـروف الهجـاء، مـع تقـديم اسـم الشـهرة للمؤلـف بعـد تجريـده مـن حـرف (أل) ـ إن وجـد ـ ثـم ذكـر اللقب العلي، واسـم الكتـاب، والطبعة، وتاريخ الطبع، واسم المطبعة ـ إن وجد.

١. (ابـن أبـي شـيبة) والإمـام/ أبـوبكـر (ت٢٣٥هـ) المصنف في الأحاديث والآثـار، تحقيـق/ كمـال يوسـف الحـوت، ط أولى، نشـر مكتبـة الرشد، الرياض.

٢. (ابـن باجـة) كتـاب النفس، تحقيـق الـدكتور/ محمـد صـغير حسـن المعصومي، ط المجمع العلمي العربي، دمشق عام ١٣٧٩هـ ـ١٩٦٠م.

٣. (ابن حنبل) الإمام/ أحمد، المسند، تحقيق/ شعيب الأرناؤوط، عـادل مرشـد وآخـرون، إشـراف د/ عبـدالله بـن عبدالمحسـن التركـي، بـاب مسـند جـابر بـن عبـدالله ﷺ، ط أولى مؤسسـة الرسـالة بـيروت عـام ١٤٢١ هـ ـ٢٠٠١م.

٤. (ابـن فـارس) العلامـة / أحمـد (ت٣٩٥هـ)، معجـم مقـاييس اللغـة، تحقيق : عبد السلام محمد هـارون، نشـر دار الفكـر، عـام ١٣٩٩هـ ـ١٩٧٩م.

٥. (ابن منظور) العلامـة / (ت٧١٧هـ)، لسـان العـرب، فصـل الـلام ج١١، ط دار صادر، بيروت، لبنان ١٤١٤هـ.

☎ تـليـفـون / فـاكـس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧ Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

٦. (أبو اليسر) للدكتور/ حسيب الله آدم، نظرات في الفلسفة المادية، ط أم درمان ١٩٧٨م.

٧. (الأخضري) الشيخ/ عبدالرحمن، متن المسلم في علم المنطق، فصل في الأشكال، ص١٠، المكتبة التجارية لصاحبها مصطفى محمد، بدون تاريخ.

٨. (الأزدي) العلامة/ أبو بكر بن محمد بن الحسن بن دريد (ت٣٢١هـ)، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير البعلبكي، ط أولى، نشر دار العلم للملايين، بيروت، لبنان عام ١٩٨٧م.

٩. (الأزميري) الأستاذ/ نور الدين بن حكمت الله، رد على مكفري الفلاسفة، المطبعة الميمنية ١٣٣٥هـ.

١٠. (إسكندر) الدكتور/ إبراهيم محمد، الفيزياء والرياضة والفلسفة، أطروحات في الجانب المعرفة، ط ثالثة، مكتب المنتزه ١٩٩٨م.

١١. (إسكندر) الدكتور/ جورج، زعماء التطور في العالم الغربي، ترجمة: د/ عادل صبري، ط بيروت ١٩٩٨م.

١٢. (الأصفهاني) الشيخ/ أبو الثناء شمس الدين بن محمود بن عبدالرحمن مطالع الأنظار على طوالع الأنوار، ط دار سعادة بالقاهرة ١٣٠٥هـ.

١٣. (أغروس) روبرت. م.، وجورج. ن. ستانسير، العلم في منظوره الجديد، ط عالم المعرفة، العدد ١٣٤، فبراير ١٩٨٩م.

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

١٤. (الأندلسي) العلامة / أبو حيان محمد بن حيان أثير الدين (ت٧٤٥هـ) تحقيق: صدقي محمد جميل، نشر دار الفكر، بيروت، الطبعة: ١٤٢٠هـ.

١٥. (الأنصاري) الدكتور/ عبد الحكيم حسن، "الكون يشهد بوجود الله"، ط ثالثة، مطبعة الهلال، ١٩٨٧م.

١٦. (باتست)، إدوارد الكائن الحي هو الطبيعة، ولا شيء ورائها، ترجمة: عادل فوزي، ط المستقبل ٢٠١٤م.

١٧. (الباقلاني) الإمام/ أبوبكر، الإنصاف، الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، تحقيق الشيخ/ محمد زاهد بن الحسن الكوثري، ط ثانية، نشر المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة عام ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

١٨. (البخاري) الإمام/ محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق / محمد زهير بن ناصر الناصر، نشر: دار طوق النجاة، ط أولى عام ١٤٢٢هـ.

١٩. (بريست). جيمس، البيولوجيا وعلم التطور الإحيائي، ط المكتب العلمي الحديث، ١٩٩٣م، ترجمة: عادل فوزي.

٢٠. (البستاني) المعلم/ بطرس، قطر المحيط، ط بيروت، عام ١٨٦٩م

٢١. (البصري) العلامة/ أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ)، كتاب العين، تحقيق د/ مهدي المخزومي، ود/ إبراهيم السامرائي، نشر دار ومكتبة الهلال.

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

٢٢. (البهـي) الـدكتور/ محمـد، الـتفكير الفلسـفي الإسـلامي الحـديث وصـلته بالاسـتعمار الغربـي، ط مكتبـة وهبـة، وراجـع لـه أيضًـا: الجانب الإلهي من التفكير الفلسفي الإسلامي.

٢٣. (بـولتيز) جـورج، قياسـات المـادة وحركاتهـا مـن منظـور تطـوري، ترجمة: عادل فوزي، ط الموصلي ١٩٨٧م.

٢٤. (بيتر) الـدكتور/ جوزيـف، أسـطورة المـادة الأزليـة وكيـف أنكـرهـا العلم الحديث، ط مكتبة فوزي ١٩٨٥م.

٢٥. (بيـل) جـورج، التطـور الإحيـائي والحركـة العاقلـة، ط عاشـرة، دار التقوى ١٩٧٨م.

٢٦. (توفارسـكـي) روبـارت، قياسـات الـزمن المتطـورة، ترجمـة: هـدى العبدالله، ط الكويت ١٩٧١م.

٢٧. (الجرجاني) الإمام / علي بن محمد الشريف (ت٨١٦هـ) التعريفات، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء، ط الأولى، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، عام ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٢٨. (الجرجاني) العلامة/ السيد الشريف، شرح المواقف، المجلد الرابع، ومعه حاشيتا السيالكوتي والجلبي، ضبط محمود عمر الدمياطي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط أولى ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٢٩. (جرنيـوف) ولـيم، المـادة والمـذاهب الـتي تـدور حولهـا، ترجمـة: ناهـد عبدالعظيم حسن، ط بيروت ١٩٨٨م.

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تـلـيـفـون / فـاكـس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

٣٠. (الجميل) راجع للدكتور/ السيد عبدالعظيم، المادية التاريخية أصولها وتطوراتها وأخطارها، ط مكتب الأقصى ١٩٨٨م، القاهرة.

٣١. (جود) الفيلسوف (جود)، منازع الفكر الحديث، ترجمة: عباس خماسي، مراجعة: د/ عبدالعزيز اليسام، ط المجمع العلمي العراقي ١٩٥٦م.

٣٢. (الجويني) الإمام/ أبو المعالي، الشامل في أصول الدين، ط دار المعارف بالإسكندرية، ١٩٦٩م.

٣٣. (حجي) الدكتور/ أنور محمود، المادة بين الأزلية واللاأزلية من منظور فيزيائي، مكتبة التراث، ١٩٨٤م.

٣٤. (حسن) الدكتور/ محمود، العلم والكلمة الأخيرة، مكتبة الأندلس ١٩٨٨، ط ثالثة.

٣٥. (الحفني) الشيخ/ محمود محمد سليمان، "العقيدة الإسلامية ومصادرها الأساسية، مطبعة الشباب بالقاهرة، ١٩٤٥م.

٣٦. (الحكمي) الشيخ/ علي بن محمد بن صالح، مفردات ومصطلحات لغوية، تحقيق وتقديم وتعليق الأستاذ/ عادل فوزي، ط بيروت ١٩٨٥م.

٣٧. (الحنفي) الشيخ/ صالح بن العلي محمد صالح، من أسرار اللغة في تراكيبها، ط أولى، مطبعة الشباب بالقاهرة ١٩١٦م.

٣٨. (الحنفي) الشيخ/ صالح بن محمد بن علي النعماني، من أسرار الكون، مطبعة مصر ١٣٣٥هـ، بجوار محطة مصر.

٣٩. (الحنفي) الشيخ/ مصطفى شلبي، مفاهيم يجب أن تصحح، حرف الهمزة، مطبعة الدار العلمية ١٣١٣هـ.

٤٠. (الحنفي) الشيخ/ حسن بن علي بن حسن الصافوري، دلائل التوحيد، تحقيق الأستاذ/ علي السيد شكري، مطبعة المعصر ـ المغرب، ١٩٦٥م.

٤١. (حوى) الأستاذ / سعيد (ت١٤٠٩هـ)، الأساس في السنة وفقهها ـ العقائد الإسلامية، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ط ثانية، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

٤٢. (الخطيب) الأستاذ/ عبد الكريم يونس (ت١٣٩٠هـ) التفسير القرآني للقرآن، ط دار الفكر العربي، القاهرة.

٤٣. (خميس) الدكتور/ سليمان، محاضرات في العقيدة، مطبعة عطايا بالقاهرة ١٩٦٣م.

٤٤. (داروين) أرازموس، الطبيعة والمادة وجهًا لوجه، ترجمة: عبدالمنعم وصفي، ط الموصل ١٩٩٨م.

٤٥. (دنيا) الدكتور/ سليمان، التفكير الفلسفي، ط الرباط، المغرب.

٤٦. (ديفز) بول وآخر، صورة المادة في الفيزياء الحديثة، ترجمة: عادل فوزي، مراجعة: خيري حسن، ط ١٩٩٨م.

٤٧. (ديفز) بول، وجون جربين، أسطورة المادة، ترجمة: علي يوسف، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٨م.



٤٨. (الزَّبيدي) العلامة / مرتضى، (ت١٢٠٥هـ)، تاج العروس، مجموعة من المحققين، نشر: دار الهداية.

٤٩. (الزمخشري) العلامة/ محمد حسن (ت٥٣٨) هـ، أساس البلاغة، تحقيق : محمد باسل عيون السود، ط أولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان عام ١٤١٩هـ-١٩٨٤م.

٥٠. (الرازي) العلامة/ زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي (ت٦٦٦هـ) مختار الصحاح، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، ط الخامسة، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٥١. (الرازي) الإمام/ فخرالدين، معالم أصول الدين، تحقيق: طه عبد الرؤوف، ط الكليات الأزهرية بالقاهرة.

٥٢. (زون) جورج، المادية والتاريخ والحضارة، ترجمة: السيد فوزي، ط ١٩٧٨م، المطبعة العصرية.

٥٣. (سيزمان) أ.ب، فكرة الزمان وتطورها، ترجمة: هادي فوزي، بيروت، ١٩٧١م.

٥٤. أ.ب سيزمان، فكرة الزمان وتطورها، ترجمة: مرسي خيري، ط بيروت ١٩٧١م.

٥٥. (السروي) الشيخ/ محمود عبد العظيم أبو الفضل، "هذا خلق اللّه"، المطبعة العصرية، ١٩٢٧م.

٥٦. (السعداوي) الدكتور/ فريد محمود، الكون يشهد بوجود الخالق، ط القاهرة، ١٩٩٥م،

٥٧. (السعدي) الشيخ/ عبدالعظيم بن علي بن صالح بن الحسن، العقيدة الإلهية، ط فرج الله الكردي ١٣١٥هـ.

٥٨. (سكوت) أندريه، جوهر الطبيعة، ترجمة: هاشم أحمد محمد، مراجعة: علي يوسف علي، الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٠م، سلسلة الألف كتاب الثاني رقم ٣٠٨.

٥٩. (السنطاوي) الأستاذ/ رفيق السيد، الفكر التطوري بين القبول والرد: دراسة في الكائن البشري، ط مكتبة القصر ١٩٨٤م، القاهرة.

٦٠. (سيف) ف.ج أفانا، أصول الفلسفة الماركسية، ترجمة : حمدي عبد الجواد، ط دار الثقافة الحديثة بالقاهرة.

٦١. (شاخت) جورج، الفلسفة التطورية والحركة العاقلة، ترجمة: أ/ إحسان فوزي، ط المعرفة، بيروت ١٩٩٨م.

٦٢. (الشافعي) الأستاذ/ عبدالله محمد علوان، والشيخ/ صبري محمود فوزي، ملامح العقيدة الإسلامية في الكتاب والسنة، ط ومراجعة الشيخ/ فرج الله الكردي، ١٣٣٥هـ.

٦٣. (الشافعي) الشيخ/ منصور بن علي بن صالح الزفتاوي، العقيدة الإلهية في الكتاب والسنة، ط الشباب ١٩٢٥م.

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

٦٤. (الشافعي) الشيخ/ عدلي محمد حسن رجب، العالم بين قدمه وحدوثه، مكتبة عبدالعاطي فرج ١٣٣٥هـ.

٦٥. (شتيولين) أ. ب، الفلسفة الماركسية اللينينية، ترجمة: لويس إسكاروس، ط دار الثقافة الجديدة، القاهرة.

٦٦. (شعلان) الدكتور/ محمود، نظرية الانفجار العظيم ما لها وما عليها، ط مكتبة الرشد ١٩٨٨م.

٦٧. (شلبي) الدكتور/ محمود السيد، ضوابط الفكر، ط مكتبة المنتزة بالقاهرة ١٩٧٨م

٦٨. (شولتيز) إدوارد، العالم بداية بلا نهاية، ترجمة: عادل غزي، ط مكتبة المنهل ١٩٧٨م.

٦٩. (صالح) الدكتور/ توفيق محمود، قوانين العلم بين التأثر والتأثير: قراءة وثقافية، ترجمة: عادل الصفتي، ط المكتبة العصرية ١٩٩٨م.

٧٠. (الصُحاري) الشيخ/ سَلَمة بن مُسْلِم العَوْتبي، الإبانة في اللغة العربية، المحقق: د. عبدالكريم خليفة وآخرين، الناشر: وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، سلطنة عمان، ط الأولى عام ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٧١. (صقر) الأستاذ/ مجدي عبدالمقصود، النزعة التطورية وموقف الإسلام منها، ترجمة: دار المشرق ١٩٨٦م، مكتب الأمل ١٩٩٥م.

٧٢. (طاهر) الدكتور/ محمد محمد، نقد المذهب التجريبي، منشورات مكتبة الهلال، ط ثانية بالقاهرة.

تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

٧٣. (الطبري) الإمام (ت٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق : أحمد محمد شاكر، ط الأولى، نشر مؤسسة الرسالة عام ١٤٢٠هـ ـ٢٠٠٠م.

٧٤. (طلبه) الأستاذ/ محمود السيد، "الفكر التطوري الإحيائي وأخطاره على العقيدة الإلهية، ط ثانية، مكتبة المنتزه، ١٩٧٥م.

٧٥. (طلبه) الدكتور/ محمود حسن، الديناميكا والفيزياء وجهاً لوجه، طبعة مكتب الأمل عام ١٩٩٥م.

٧٦. (عبدالباقي) الأستاذ/ محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، باب الميم، ط دار الكتب المصرية عام ١٣٦٤هـ ١٩٤٥م.

٧٧. (العجمي) الأستاذ/ محمد صالح، المادة والتداخلات الغير علمية، مطبعة مكتب الأقصى ١٩٧٤م.

٧٨. (عبدالخالق) والدكتور/ أحمد، الإسلام والفكر المنحرف، دار الطباعة المحمدية بالقاهرة، ١٩٨٤م.

٧٩. (عبد الفتاح) الدكتور/ جلال، الكون ذلك المجهول، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة الألف كتاب الثاني رقم (١٦٢).

٨٠. (عبده) الدكتور/ توفيق رمضان، نظرية التطور ما لها وما عليها " دراسة نقدية"، ط المكتب العلمي.

٨١. (العسكري) أبو هلال (ت٣٩٥هـ) معجم الفروق اللغوية، المحقق: الشيخ بيت اللّه بيات، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم» ط أولى، ١٤١٢هـ.

تـليـفـون / فـاكـس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

٨٢. (عطـوه) الـدكتور/ مصـطفى محمـد، الفيزيـاء في المسـتوى الميتافزيقي، ط المكتب العلمي ١٩٩٥م.

٨٣. (العقـاد) الأسـتاذ/ عبـاس محمـود، الشـيوعية والإنسـانية في شـريعة الإسلام، ط دار الهلال، القاهرة.

٨٤. (عمر) الدكتور/ أحمد مختار عبد الحميد (ت١٤٢٤هـ) معجم اللغة العربية المعاصرة، ط الأولى، عالم الكتب، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

٨٥. (الغزالـي) الإمـام/ أبـو حامـد محمـد بـن محمـد، تهافـت الفلاسـفة، تقديم وضبط: أحمد شمس الدين، ط دار الكتب العلميـة، بيروت، أولى ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٨٦. (الغزالي) الإمام/ أبو حامد محمد بن محمد، سر العالمين وسعادة ما في الدارين، ضمن مجموعة رسائل الإمام/ الغزالي، ط بيروت.

٨٧. (غمـري) الـدكتور/ جمـال حسـن، الميتافزيقـا مـن منظـور غـير ميتافزيقي، ط ثانية، مكتبة الأستاذ ١٩٩٥م.

٨٨. (الفـارابي) العلامـة / أبـو نصـر إسماعيـل بـن حمـاد الجـوهري (ت ٣٩٣هـ) الصـحاح تـاج اللغـة وصـحاح العربيـة، تحقيـق: أحمـد عبـد الغفور، ط الرابعة، دار العلم للملايين، بيروت ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٨٩. (الفاسـي) الشـيخ/ محمـود بـن علـي الـدين صـادق، هـذا خلـق الله، مطبعة محمد علي ١٩٤١م.

٩٠. (فخري) الأستاذ/ حسن، "ومن كل شيء خلقنا زوجين"، ط قصر النيل ١٩٧٨م.

تـليـفـون / فـاكـس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg

٩١. (فرار) الدكتور/ جورج، البحث العلمي وعلاقته بالعالم الطبيعي، دراسة في المادة وخواصها، ترجمة: عادل عبدالعظيم يونس، ط ثانية، دار المعارف للنشر، بيروت ١٩٩٥م.

٩٢. (فوزي) الدكتور/ محمود السيد، المذاهب المادية في القرن العشرين، ط ثانية، مكتبة المنتزه، القاهرة ١٩٧٦م.

٩٣. (فوزي) الدكتور/ طاهر محمود، الحركة والسكون في الميزان الفلسفي، ط دار الفكر بمصر ١٩٧٨م.

٩٤. (فيجاس) أندريه، "الفيزيا والميكروفيزيا علاقات تبادلية"، ترجمة: د/ محمود صبحي، ط بيروت، ١٩٨٥م.

٩٥. (القاسمي) الشيخ/ محمد جمال الدين (ت١٣٣٢هـ)، محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤١٨هـ.

٩٦. (قطب) الأستاذ/ محمد، مذاهب فكرية معاصرة.

٩٧. (القيرواني) الشيخ/ محمود بن علي بن عطية، مصطلحات صوفية، ، المطبعة المليجية بالقاهرة ١٣١٣هـ.

٩٨. (كالوميزا) بونتال، المادة وخواص الأجسام الطبيعية، ص٧، ترجمة: تماضر حسن فوزي، مطبعة الأسد، سوريا ١٩٩٧م.

٩٩. (كتنير) جورج، "البيولوجيا من منظور بيولوجي، ترجمة: حسن محمد أنور، ط القاهرة ١٩٩٨م.

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

١٠٠. (الكفوى) العلامة/ أبو البقاء (ت١٠٩٤هـ) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، المحقق: عدنان درويش، محمد المصري، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان.

١٠١. (الكلنبوي) الشيخ/ إسماعيل، حاشية الكلنبوي على شرح جلال الدين الدواني، ج١، وبالهامش حاشية المرجاني وحاشية الخلخالي، ط دار سعادة ١٣١٦هـ.

١٠٢. (كولينز) جيمس، اللّه في الفلسفة الحديثة، ترجمة: فؤاد كامل، ط دار قباء للطباعة والنشر، ط ثانية ١٩٩٨م.

١٠٣. (كيلي) ـ ف. (كيلي)، المادية التاريخية، ص٣٠٥، ترجمة: أحمد داود، ط دار الجماهير، دمشق ١٩٧٠م.

١٠٤. (ماركس) كارل، بؤس الفلسفة ص١٩٧، ترجمة: يحيى فوزي، مراجعة: د/ عادل شويخ، ط ١٩٤٥م.

١٠٥. (المالكي) راجع الشيخ/ منصور بن علي ولي الدين العجمي، من أسرار الله في الإنسان، المطبعة العصرية ١٩٣٥م.

١٠٦. (مجمع اللغة العربية) المعجم الوجيز، ط وزارة التربية والتعليم، ١٤١٢هـ ـ١٩٩٢م. والمعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرين، نشر دار الدعوة بالقاهرة.

١٠٧. (المرسي) والعلامة/ أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده (ت ٤٥٨) هـ، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق :عبد الحميد هنداوي، ج٩ ص٧٨، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ـ٢٠٠٠م.


Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

١٠٨. (المكلاتي) الشيخ/ أبو الحجاج يوسف بن محمد، كتاب لباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الأصول، تحقيق: الدكتورة، فوقية حسين محمود، ط أولى ١٩٧٧م، توزيع دار الأنصار بالقاهرة.

١٠٩. (المناوي) الشيخ / عبدالرؤوف، التوقيف على مهمات التعاريف، فصل الزاي، ط أولى، نشر عالم الكتب بالقاهرة عام ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.

١١٠. (النبهاني) الدكتور/ فوزي محمد علي، العقيدة الإسلامية ومقوماتها، مطبعة دار الجماهير، دمشق ١٩٩٨م.

١١١. (النبهاوي) الشيخ/ منصور بن علي بن حسن بن سالم، العقيدة الإلهية وأصولها الشرعية، ط فرح الله الكردي ١٣١٧هـ.

١١٢. (النسفي) وأبو المعين، تبصرة الأدلة، تحقيق: كلود سلامة، ط دمشق ١٩٩٠م.

١١٣. (النقلة) الدكتور/ عبدالعظيم حسن، العلم الحديث بين حجري الرحى ص٩٩، ط ثالثة ١٩٩٨م.

١١٤. (النويهي) الدكتور/ حسن محمود، "خطر القول بالتطور على المفردات اللغوية"، ص٥٤، ط القاهرة، ٢٠٠٥م.

١١٥. (هدسون) بيتر، أنا والطبيعة والباحث البيوجرافي، ترجمة: منصور نحلة، مراجعة د / محمد السيد خضر، ط بيروت عام ١٩٩٣م.

١١٦. (وياخوت) سيركين، أسس المادية الديالكتيكية، والمادية التاريخية، ص٣٩، ترجمة: أ/ محمد الجندي، ط القاهرة ١٩٦٧م.


Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

١١٧. (وينجلي) الدكتور/ آرثر، الكون يتحدث عن نفسه، ترجمة: عادل فوزي، مراجعة: حسن خضر، المكتبة العصرية ١٩٩٨م.

١١٨. (يبوست) إدوار، العلاقة بين الفيزيقا والميتافزيقا، ترجمة: حنان صبحي، ط دار المعرفة، بيروت.

١١٩. (يوسكي) نيقولا، تاريخ الفلسفة الروسية، ترجمة: فؤاد كامل، ط دار المعارف بالقاهرة.

Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

الفهرس

م	الموضوع	رقم الصفحة


Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg
☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧

☎ تليفون / فاكس: ٠٨٨٢١٤٨٠٩٧
Email:theo.adv.ast@azhar.edu.eg